مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦



مأساة الحلاج

صلاح عبد الصبور



مأساة الحلاج



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

ماساة الحلاج
صلاح عبدالصبور

الغلاف
للفنان جمال قطب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

مأساة الحلاج

صلاح عبدالصبور

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

الجزء الاول

الكلمة

المنظر الأول

الساحة فى بغداد . فى عمق المشهد الأيمن جذع شجرة يتعامد عليه فرع قصير منها . لا يوحى المشهد بالصليب التقليدى . بل بجذع شجرة فحسب . معلق عليه شيخ عجوز . تضىء مقدمة المسرح ليبرز ثلاثة من المتسكعين .

التاجر : انظر .. ماذا وضعوا فى سكتنا

الفلاح : شيخ مصلوب
ما أغرب ما نلقى اليوم

الواعظ : يبدو كالغارق فى النوم

التاجر : عيناه تنسكبان على صدره

الواعظ : وكأن ثقلت دنياه على جفنيه
أو غلبته الأيام على أمره

التاجر : فحنا الجذع المجهود ، وحدق فى الترب

الواعظ : ليفتش فى موطىء قدميه عن قبره

الفـــــلاح : هل تعرف لم قتلوه ؟

أو من قتــله ؟

التــــاجر : هل أعرف علم الغيب ؟

اسأل مولانا الواعظ

الفـــــلاح : هل تعرف يا مولانا .

الواعـــــظ : لا .. فلنسأل أحد المــاره

التــــاجر : نعم ، فقد يكون أمره حكاية طريفة أقصها

لزوجتى حين أعود فى المساء

فهى تحب أطباق الحديث فى موائد العشاء

الفـــــلاح : أما أنــا ، فاننى فضولى بطبعى

كأننى قعيدة بلهــاء

وكلما نويت أن أكف عن فضولى

يغلبنى طبعى على تطبعى

الواعـــــظ : وحبذا لو كان فى حكايتــه

موعظــة وعبره

فان ذهنى مجدب عن ابتكار قصة ملائمــه

تشد لهفــة الجمهور

أجعلها فى الجمعة القادمة

موعظتى فى مسجد المنصور

« تضىء مقدمة المسرح اليمنى ، حيث نجد فيها مجموعة من الناس يتقدمهم مقدمهم »

فلنسأل هــذا الجمع ...

يا قــوم ...

« يتقدمون نحوه خطوة فى حركات بليدة »

من هــذا الشيخ المصلوب ؟

مقدم المجموعة : أحــد الفقراء

الواعــــظ : هل تعرف من قتــله ؟

المجموعــــة : نحن القتــله

الواعــــظ : لكنكمو فقراء مثــله

المجموعــــة : هــذا يبدو من هيئتنا

مقدم المجموعة : انظر .. انى أعمى
أتسول فى طرقات الكرخ

واحدمن المجموعة : « يتقدم خطوة . وهو يتحدث وكأنه يقدم نفسه ، ثم يتراجــع بعد أن يتم كلمتــه . ويتكرر هذا مع كل منهم »

وأنا قراد

آخر : وأنا حداد

ثالث : وأنا حجام

رابع : وأنا خدام فى حمام

خامس : وأنا نجار

سادس : وأنا بيطار

التاجر : هل فيكم جلاد ؟

المجموعة : « تتبادلون النظر ، ثم يقولون فى صوت واحد »

لا .. لا ..

التاجر : أبأيديكم ... ؟

المجموعة : بل بالكلمات

التاجر : « ضاحكا ، وناظرا الى زميله »

فقتلوه بالكلمات ...

ها .. ها .. ها ..

مقدم المجموعة : أقتلناه حقا بالكلمات ... ؟

لا ندرى ، واليكم ما كان
فى هـذا اليوم ...

المجموعـــــة : صفونا .. صفا .. صفا

الأجهر صـــوتا والأطول
وضعوه فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
وضعوه فى الصف الثـانى
أعطوا كلا منا دينارا من ذهب قانى
براقا لم تلمسه كف من قبل
قالوا : صيحوا .. زنديق كافر
صحنا زنديق .. كافر
قالوا : صيحوا فليقتل انـا نحمـل دمه فى رقبتنـا
فليقتل انـا نحمل دمه فى رقبتنا
قالوا : امضـــوا فمضينا
الأجهر صـــوتا والأطول
يمضى فى الصف الأول
ذو الصوت الخافت والمتوانى
يمضى فى الصف الثـانى

« مع ألفاظهم الأخيرة يخرجون من المسرح »

التـــــاجر : هــل أدركنــا شــيئا

« يضيء جانب آخر من المسرح ، وتبدو منه مجموعة من الصوفية »

الواعــــــظ : لا ، أنــا لم أفهم

الفـــــلاح : فلنسأل هــذا الجمع
من أنتم ... ؟

مجموعة الصوفية : نحن القتــلة
أحببنــاه ، فقتلنــاه

الواعــــــظ : لا نلقى فى هذا اليوم سوى القتله
ولعلكم أيضــا حين قتلتم هـــذا الشيخ المصــلوب

المجموعـــــة : ... قتلناه بالكلمــات

الفـــــلاح : زاد الأمر غرابه !

المجموعـــــة : أحببنــا كلمــاته
أكثر مما أحببنــاه
فتركناه يموت لكى تبقى الكلمات

التـــــاجر : من أنتم ؟

المجموعـــــة : أصحاب طريق مثله

الواعـــــظ : هل خفتم لمـا صاح الفقراء
فنكرتم أمره ؟

المجموعـــة : خفنا .. لا .. لا ..
لا يخشى الموت سوى الموتى
أنقذنا ما أوصانا به

الواعـــــظ : أوصـاكم به .. ؟

مجموعة الصوفية : كنا نلقاه بظهر السوق عطاشا فيروينا ..
من مـاء الكلمـات
جوعى ، فيطاعمنـا من أثمـار الحكمـة
وينادمنا بكئوس الشوق الى العرس النورانى

الواعـــــظ : عجبـا لا أفهـم !
« ملتفتـا الى زميليـه »
هل تفهم أنت .. وأنت ؟
« يهـزان رأسـيهما »

مقدم المجموعة : لا تبغ الفهم ... اشعر وأحس
لا تبغ العلم ... تعرف
لا تبغ النظر ... تبصر

هـذى كانت كلمـاته

الواعـظ . كلمات تدعوكم أن تتخلوا عنه

مقدم المجموعة : كان يقول :

اذا غسلت بالدماء هامتى وأغصنى

فقد توضأت وضوء الأنبياء

كان يريد أن يموت ، كى يعود للسماء

كأنه طفل سـماوى شريد

قد ضل عن أبيه فى متاهة المساء

كان يقول :

كأن من يقتلنى محقق مشيئتى

ومنفذ ارادة الرحمن

لأنه يصوغ من تراب رجل فان

اسـطورة وحكمـة وفكره

كان يقول :

ان من يقتلنى سيدخل الجنان

لأنـه بسيفه أتم الدوره

لأنه أغاث بالدما اذ نخس الوريد

شجيرة جديبة زرعتها بلفظى العقيم

فدبت الحياة فيها ، طالت الأغصان
مثمرة تكون فى مجاعة الزمـان
خضراء تعطى دون موعد ، بلا أوان
وحينما أسلمه السـلطان للقضاه
ورده القضـاة للسلطان
ورده السـلطان للسجان
ووشيت أعضاؤه بثمر الدمـاء
تم له ما شـاء
هل نحرم العـالم من شهيد ؟
هل نحرم العـالم من شهيد ؟

الواعـــظ : أو لم يحزنكم فقده .. ؟

المجموعـــة : أبكانا أنـا فارقنـاه
وفرحنا حين ذكرنا أنـا علقناه فى كلماته
ورفعناه بهـا فوق الشجره

أفراد المجموعـة : وسنذهب كى نلقى ما استبقينا منها
فى شق محاريث الفلاحين
ونخبئها بين بضاعات التجار

ونحملها للريح السواحة فوق الموج
وسنخفيها فى أفواه حداة الابل ...
الهائمة على وجه الصحراء
وندونها فى الأوراق المحفوظة بين
طوايـا الثوب
وسنجعل منها أشعارا وقصائد

المجموعـــة : قل لى .. ماذا كانت تصبح كلماته
لو لم يستشهد ؟

« يغادرون المسرح مع الأبيـات الأخـيرة من أول » :

« وسـنذهب ... »

« يدخـل من خلف الشـجرة شيخ فى يـده وردة »

التـــاجر : من هـذا ؟

الواعــــظ : هذا الشبلى .. شيخ الزهاد
كان له اقطـاع فى قريتنا
وتخلى عنه لكى يمضى فى طرق الصوفيه
فلننظر ما يفعل

الفـــلاح : قد نعرف عندئذ ما القصه

الشـــــبلى : يا صاحبى وحبيبى

« أو لم ننهك عن العالمين »

فمــا انتهيت

قد كنت عطرا نائما فى وردته

لم انســكبت ؟

وردة مكنونة فى بحرها

لم انكشــفت ؟

وهل يساوى العالم الذى وهبته دمك

هــذا الذى وهبت ؟

سرنا معا على الطريق صاحبين

أنت ســبقت

أحببت حتى جــدت بالعطــاء

لكننى ضننت

حين رأيت النور تقت للرجوع

ها أنت قــد رجعت

أعطيك بعض ما وهبت للحياة ..

بعض ما أعطيت

« يلقى اليه وردة حمراء »

ربـاه لا أستطيع أن أمد ناظرى
يجول فى روحى وفى خواطرى
لو كان لى بعض يقينك
لكنت منصـوبا الى يمينك
لكننى استبقيت حينما امتحنت عمرى
وقلت لفظا غامضـا معناه
حين رموك فى أيدى القضـاه
أنـا الـذى قتلتـك
أنـا الـذى قتلتـك

« يخـرج »

الفـــلاح : عجبا لم ندرك شـيئا

التـــاجر : لن ترضى زوجتى عنى الليلة

الواعـــظ : ضاعت عظتى الا أن أتبع هـذا الشيخ الطيب فيحدثنى بالقصـة
يا شيخ ... ما القصة ... ما القصة ...
من قاتل هذا الرجل المصلوب ؟ ..
هل ندركه ، فيحدثنا .. ؟

« ينطلقون خلفـه »
(سـتار)

المنظر الثانى

« بيت الحلاج »

« الحلاج وصديقه الشبلى يتحدثان ، وقد ارتدى كل منهما خرقة الصوفية ، شيخان فى أواخر العمر »

الشبلى : ... يا حلاج ، اسمع قولى

لسنا من أهل الدنيا ، حتى تلهينا الدنيا

أسرعنا لله الخطو العجلان ، فلما أضنانا

الشوق الظمآن

طرنا بجناحين

ولمسنا أهداب النور

هل نبصر عندئذ من قلب غمامتنا الغضيه

الا أشباحا حائلة تذوى فى وهج العرفان

وظلالا زائلة لا تمسكها الأجفان

الحلاج : لكن .. يا أخلص أصحابى ، نبئنى ...

كيف أميت النور بعينى
هذى الشمس المحبوسة فى ثنيات الأيام ؟
تثاقل كل صباح ، ثم تنفض عن عينيها النوم
ومع النوم ، الشفقه
وتواصل رحلتها الوحشية فوق الطرقات
فوق الساحات ، الخانات ، المارستانات ، الحمامات

وتجمع من دنيا محترقه
بأصابعها الحمراء النارية
صورا ، أشباحا ، تنسج منها قمصانا ،
يجرى فى لحمتها وسداها الدم
فى كل مساء تمسح عينى بها
توقظنى من سبحات الوجد
وتعود الى الحبس المظلم
قل لى يا شبلى
أأنا أرمد ؟

الشبلى : لا ، بل حدقت الى الشمس
وطريقتنا أن ننظر للنور الباطن

ولذا ، فأنــا أرخى أجفانى فى قلبى
وأحــدق فيه ، فأســعد
وأرى فى قلبى أشجارا ، وثمارا
وملائكة ، ومصلين ، وأقمارا
وشموسا خضراء وصفراء وأنهارا
وجواهر من ذهب ، وكنوزا ، من ياقوت
ودفــائن وتصــاوير
كل فى أعلى ســمته
أو فى أبهى هيئاته

الحـــــلاج : هل تدرى يا شيخى الطيب
لم نور ربى قلبــك ؟

الشـــــبلى : هــذا حالى يا حــلاج
لن تحسدنى ومعاذ أخوتنا أن يخطر فى بالك
أن تحصى ما يلقى عبد من نعمة مولاه
لكن لا تسألنى أيضا ••• ما يدرينى ؟
أحوال الصــوفيين مواهب

الحـــــارس : لا ، انى أشرح لك

لم يختار الرحمن شخوصا من خلقه
ليفرق فيهم أقباسا من نوره
هذا ، ليكونوا ميزان الكون المعتل
ويفيضوا نور الله على فقراء القلب
وكما لا ينقص نور الله اذا فاض على
أهل النعمة
لا ينقص نور الموهوبين اذا ما فاض
على الفقراء

الشبلى : لا ، يا حلاج
اني أخشى أن أهبط للناس
قد أبسط أجفانى فوق الدنيا
فأرى ، يسراها ، اتمنى النعمى واليسرى
وأرى عسراها ، أتوقى العسرى
ويموت النور بقلبى

الحلاج : هبنا جانبنا الدنيا
ما نصنع عندئذ بالشر ؟

الشبلى : الشر

ماذا تعنى بالشر ؟

الحـــــلاج : فقر الفقراء

جوع الجوعى ، فى أعينهم تتوهج ألفـاظ
لا أوقن معناها

أحيانا أقرأ فيهـا
« ها أنت ترانى
لكن تخشى أن تبصرنى
لعن الديـان نفاقـك »
أحيانا أقرأ فيهـا
« فى عينـك يذوى اشـــفاق ، تخشى أن
يفضـح زهـوك
ليسامحك الرحمن »
قد تدمع عينى عندئذ ، قد أتألم
أما ما يملأ قلبى خوفا ، يضنى روحى فزعا
ونـدامـه
فهى العين المرخـاة الهدب
فوق استفهام جـارح
« أين الله » ... ؟

والمسجونون المصفودون يسوقهمو شرطى
مذهوب اللب
قد أشرع في يده سوطا لا يعرف من فى
راحته قد وضعه
من فوق ظهور المسجونين الصرعى قد رفعه
ورجال ونساء قد فقدوا الحرية
تتخذتهم أرباب من
دون الله عبيدا سخريا
يا شبلى
الشر استولى فى ملكوت الله
حدثنى .. كيف أغض العين عن الدنيا
الا أن يظلم قلبى ؟

الشبلى : مهلا .. مهلا
بل أنت الآن على حافة أن يظلم قلبك

الحلاج : لا ، بل انى أتنور من رأسى حتى قدمى

الشبلى : صمتا ، واليك جوابك كى ترتد الى نفسك
هل تسألنى من ذا صنع الفقر ؟
من ألقى فى عين الفقراء ؟

كلمــات تفزع من معناها
واليك جواب سـؤالك .
الظــلم ...
هل تسألنى من ذا صــنع القيــد الملعون ،
وأنبت سوطا فى كف الشرطى ؟
واليك جواب ســؤالك :
الظــلم
هل تسألنى من ذا صنع الاستعباد ؟
الظــلم ...
لكنى ألقى فى وجهــك
بســؤال مثل ســؤالك
قل : من صــنع الموت ؟
قل : من صنع العلة والداء ؟
قل : من وســم المجذومين ؟
والمصروعين ؟
قل : من ســمل العميان ؟ .
من مد أصابعه فى آذان الصم ؟
من شــد لسان البكم ؟

من ســود وجه السود ؟

من صفر وجه الصفر ؟

من ألقانا فى هذى الدنيا مأسورين

لنغص بمشربنا ، ونشاك بمطعمنا

تتنفس أبشع رائحــة مصاعدة من رجــع

حلوق الموتى

الموتى الأحياء المقتولين القتلة

الكذابين الخوانين ، لصــوص الأطفــال

ومنتهكى الحرمات ، وتجار الدم

وزنــاة الليل وقوادى القرباء

وجبــاة بيوت المــال

ومرابيى الأسواق وبياعى الخمر

من ألقانا بعد الصفو النورانى

فى هذا المــاخور الطافح

من •• من •• ؟

الحــــلاج : لا •• لا •• لا أجرؤ

أتريد تقول ••

لا •• لا ••

لا تملأ نفسي شكا يا شبلي

الشبلي : بل اني أملأها علما ويقينا

يا حلاج

الشر قديم في الكون

الشر أريد بمن في الكون

كي يعرف ربي من ينجو ممن يتردى

وعلينا أن يتدبر كل منا درب خلاصه

فاذا صادفت الدرب فسر فيه

واجعله سرا ، لا تفضح سرك

الحلاج : يا شبلي

دعني أتأمل فيما قد قلت الآن

ها أنت تزلزلني في داري

والسوق يزلزلني ان أترك داري

كلماتك تجذبني يمنه ...

وعيوني تجذبني يسره ..

« مناد ينادي بالخارج »

ابراهيم : هل أدخل يا شيخي ؟

الحـــــلاج : ما أجمل خلوة روحينا يا شبلى

ما أحلى أن تتكاشف ، لكن الأيام ضنينه

ومواجـدنا لا تنفـد

فليشـهدنا ابراهيم -

هل تعرفه ، شاب من أهل الله ...

الشـــبلى : وأحبـه

الحـــــلاج : ادخل يا ابراهيم

« يدخل ابراهيم بن فاتك ، منزعج الخـاطر مسرعاً »

الحـــــلاج : ماذا تطوى فى قلبك حتى فاض على سيماك

هدىء من روعك ، فالدنيا عند الشبلى

فى خير ما دمنـا فى خير

ابراهيـــم : ما أصبحنا في خير بعد الآن

قد كنت أزور اليوم القاضى ابن سريج

نبأنى أن ولاة الأمر يظنون بك السوء ...

الحـــــلاج : بى يا ابراهيم ؟ ..

ابراهيـــم - ويقولون .

هذا رجل يلغو فى أمر الحكام
ويؤلب أحقاد العامة
ورجائى أن أنبيك رجاءه
بالحيطة والكتمان

الحلاج : ماذا نقموا منى
أترى نقموا منى أنى أتحدث فى خلصائى
وأقول لهم ان الوالى قلب الأمة
هل تصلح الا بصلاحه
فاذا وليتم لا تنسوا أن تضعوا خمر السلطة
فى أكواب العدل ؟
أترى نقموا منى تدبيرى رأيى فى أمر الناس
اذ أشهدهم يمشون الى الموت
لكن توجههم للموت يباعدهم عن رب الموت

ابراهيم . زعموا أن قد أرسلت رسائل سريه
لأبى بكر الماذرائى ، والطولونى ، ولحمد القنائى
وسواهم ممن يطمح للسلطه

الحـــــلاج : هم بعض وجوه الأمـــه

وهمو أيضا خلصائى ، أحبابى

وعدونى ان ملكوا الأمر

أن تحلو سيرتهم ويعفوا عن سقط الفعل

أن يعطوا الناس حقوق الناس على الحكام

فنجاوبهم بحقوق الحكام على الناس

هم زهرة آمالى فى هذا العالم يا ابراهيم

الشـــــبلى : يا حـــلاج

لا أدرى للصوفى صديقا الا نجوى الليل

وبكاء الخوف من الدنيا

وأناشيد الوجد المشبوب وآهات الذل

وفتوح المحبوب بنور الوصل

فاذا ثقلت فى جنبيه الوحده

فليلزم أهل الخرقة ، أبناء الفاقه

ممن قنعوا باليأس عن الآمـــال

طرحوا الانكار ببحر التسليم

حجبوا عن أعينهم هم الرؤيـــه

قرأوا ما لم تره العين

قل لى .. يا حلاج
أوثقت بأن وجوه الأمة ممن تعرف
ان ولوا ظلوا أهـل موده ؟

الحـــــلاج : لا يعنينى أن يرعوا ودى أو ينسوه
يعنينى أن يرعوا كلمـاتى

الشـــــبلى : بل ما يدريـك بأنهمو ان ولوا تسـكرهم خمـر السـلطة
وبأنهمو ما التفوا حولك
الا لكراهتهم من دبر لك

الحـــــلاج : قد خبت اذن ، لكن كلماتى ما خابت
فستأتى آذان تتأمل اذ تسمع
تنحدر منها كلماتى فى القلب
وقلوب تصنع من ألفاظى قدره
وتشـد بها عصب الأذرع
ومواكب تمشى نحو النور ، ولا ترجع
الا أن تسقى بلعـاب الشمس
روح الانسان المتهوز الموجع

ابراهيـــم : مولاى

أخشى أن يدركك الكيد الظالم
مـاذا تنوى •• ؟

الحـــــلاج : ما يرضاه الرحمن لمخلوق فى صورته ، ذى روح متصف بصفاته

ابراهيـــــم : هل يقصـــد مولاى خراسان
ويظل بها حتى يهدأ عنه السعى المحموم ؟

الحـــــلاج : خراسان •• خراسان
لينور قلبك ربى ، يا ابراهيم
أخراسان •• الجنه
كى يقصدها من أضنته الدنيا ؟
هل ثمت وصفاء بخراسان
كى يقصدها من أمرضه الظلم ؟

ابراهيـــــم : مولاى
الظلم بكل مكان
والجنة آخر سعى الانسان
لا أول سـعيه
ها أنت وحيد ، شـيخ مجهود ، أضـناك التطـواف

في أرجاء الدنيا طلبا للفطنه
ورجعت لتلقى الحمق يسود بكل مكان
يتحرش بك ..
آلاف الحمقى .. آلاف الآلاف
أعداؤنا كثر يا مولاى ؟

الحـــــلاج : لكن صحابي أكثر من أعدائى

ابراهيـــــم : لا أبصر مخلوقا منهم يا مولاى
الا شيخي الشبلى .. وأنـا
وكلانا مسكين يتحسس خطوه

الحـــــلاج : أصحابى أكثر من أن تحصيهم يا ابراهيم
أصحابى آيات القرآن وأحرفه
كلمات المحزون المهجور على جبل الزيتون
أحياء الاموات ، الشهداء الموعودون
فرسان الخيل البلق ذوو الأثواب الخضراء
آلاف المظلومين المنكسرين

ابراهيـــــم : يا مولاى
فى عصر ملتاث ، قاس ، وضنين

لن يصنع ربى خارقة أو معجزة ، كى ينقذ
جيلا من هلكى
قد ماتوا قبل الموت

الحـــــلاج : يا ولدى ، كم أخطأت الفهم !
لا أطـلب من ربى أن يصنع معجـزة ، بل
أن يعطينى جلدا
كى أدرك أصحابى عنده

ابراهيـــــم : يا مولاى
خوف لا يسعفنى أن أفهم عنك
هل تأذن لى أن أذهب للمـاذرائى
استرشده فيما تفعل ؟

الحـــــلاج : بل تسأل قلبك !

ابراهيـــــم : بل ، تأذن لى ، ولك الفضل

الحـــــلاج : اذهب ، قل له
يرجوك الحـلاج
أن تحفظه فى قلبك
« يخـرج ابراهيـم »

الشـــــبلى : رجل طيب ..

ويحبك

الحلاج : يقصيه هذا عنى

أحيانا يخطىء سبل الحب

ويحب الله بشخصى

الشبلى : ماذا تعنى ..؟

الحلاج : لو أحببنى فى الله

بدلا من حب آلهى فى

لم يفزع ، لم ينصحنى بالهجرة لخراسان

الشبلى : هذا حق

لا أنصح بخراسان

قل لى يا حلاج

هل ما اشتقت الى الحج ؟

الحلاج : الحج ...

هل أوقد قلبى نارا الا الحج ؟

هل أنضج قلبى الا وقد الصحراء وسعى الرمضاء

والصوم الى أن أغفى الجسم الناحل فى جذع النخلة

فى أرض مدينتــه الخضراء
ولدت كلمات الله هناك بقلبى المثقل
فأتيت بها ، طوفت بأرض الناس
عن فتنة طلعتها أنضو أطراف ثيابى شيئا شيئا
سأخوض فى طرق الله
ربانيا حتى أفنى فيه
فيمد يديه ، يأخذنى من نفسى
هل تسألنى ماذا أنوى ؟
أنوى أن أنزل للناس
وأحدثهم عن رغبة ربى
الله قوى ، يا أبناء الله
كونــوا مثــله
الله فعول يا أبناء الله
كونوا مثله ..
الله عزيز يا أبناء الله

الشــــبلى : خفف من غلوائك يا شيخ
فلقد أحرمت بثوب الصوفى عن الناس

الحـــلاج : تعنى هــذى الخرقــة
ان كانت قيدا فى أطرافى

يلقينى فى بيتى جنب الجدران الصماء
حتى لا يسمع أحبابى كلمـاتى
فأنا أجفوها أخلعها .. يا شيخ
ان كانت شارة ذل ومهانه
رمزا يفضح أنـا جمعنا فقر الروح الى فقر المـال
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
ان كانت سترا منسوجا من انيتنا
كى يحجبنا عن عين النـاس ، فنحجب عن عين الله
فأنا أجفوها ، أخلعها ، يا شيخ
يـارب اشـهد
هـذا ثوبـك
وشعار عبوديتنا لك
وأنـا أجفوه ، أخلعه فى مرضاتك
يـارب اشـهد
يـارب اشـهد
« يخـلع الخرقـة »
« سـتار »

المنظر الثالث

« نهارا . الساحة فى بغداد . الواعظ والتاجر والفلاح يتسكعون »

الواعظ : وألزم كل صاحب بيت
بأن يلقى بدينار لبيت المال
لكى يثبت حق الملك

الفلاح : وهل أثبت حق الملك للقصرين فى بغداد
وللبيت المشيد فى نواحى الكرخ ؟

الواعظ : سؤالك ساذج اذ دار فى ذهنك

التاجر : وجهرك بالسؤال يدل أنك ساذج صغير

الواعظ : ولو جاوبت أو علقت كنت الساذج الأكبر

التاجر : يقال بأن بعض وجوه أهل الفضل
سعوا فى القصر حتى يستتب العدل

الفـــــلاح : وهل هم أهل عدل فى ضياعهمو وثروتهم
مع الخدام والأتباع والأجراء والغلمان

الواعـــــظ : سـؤال ساذج ثان

التـــــاجر : اذن ، فالكون قد قام على العدوان
ولا جدوى ، فما فى الوسع الا الاحتيـال
عليـه
وأن ندعو رب العرش أن يصرفه عنا

« يميلون الى جهة من المسرح ويدخل ثلاثـة آخـرون أحـدب وأعرج وأبرص ، وهم من أفراد المجموعـة الذين ظهـروا فى المشـهد الأول » .

الأحـــــدب : نعم ؛ انى أحب الشيخ
ولكن أســائل نفسى الحيرى
تــرى يسـطيع أن ينصب ظهـرى بعـد
ما أحـدب ؟

الأعـــــرج : أحس اذا سمعت حديثه الطيب
بأنى قادر أن أثنى الساق ، وأن أعدو ،
وأن ألعب

بلى ، فلقـــد أحس بأننى طـير طليـــق فى
ســماواته
ولكنى اذا فارقت محفله تبدت لى
ظــلال الشـــك فى حــالى
وعدت أجر ساق العجز ، يعرج خطوهــا
المتعب
على دقات ساق الفقر والاملاق

الأبـــــرص : كأن الشمس حين أراه قد سمعت ضراعاتى
وقــد صبغت مذلاتى
وصرت أجوس فى الطرقات مختالا . نضير
الوجه وردى الذراعين
بلا سوء ولا وسم بسيمائى
ولكنى اذا فارقته لمست ثوبى فوق أعضائى
ولذت بستر مسغبتى واعيائى وأدوائى

« يميلون الى جهة ثانية من جهات المسرح »
« يدخل ثلاثة من المتصوفين »

الأول : ولكن شيخنا قد خلع الخرقة

الثـــــانى : وهبه خــلع الخرقــة ..

ترى هل خلع القلب الذى وسد فى الخرقه ؟

أو الله الذى يحيا بهذا القلب ؟

الثـــــالث : ولكن تلك شارتنا ، ورتبتنا التى نزهى

بها ، ونحس أنــا حين نلناها

خلعنا الكون ، قصصنا جناحى توقنا النزاع

نذرنا نفسنا للحج ، أحرمنا للقيا النور

فان أسعفنا الحــال ، ونلنا ما تمنينا

فذلك حظنــا الموفـور

طاب البحر والرحــلة والمرفــأ

وكان البيرق المنشــور

رايتنا ، لواء سفيننا .. الخرقه

وان عاندنا التيار ، واستعصى على النوتى

ادراك الطريق ، تملس النجم السماوى

وأخفى وجهه الفجر ، وأرخى ستره الديجور

وضل الركب والملاج بين الموج والأنواء

ومتنا ، وانطفت أعيننا الجوفــاء

وحلم النور فوق زجاجها المكسور

فيكفى اننا متنا ، وكفنا برايتنا
كمثل مجاهد مستشهد مقهور

الثـــــانى : وهل تمنعنا الخرقة أن نأبه للظلم
وأن نثبت للظـــالم
وأن ندفع كيد الشر عن أحبابنا الضعفاء ؟
أما أبصرت بعض السالكين تنعموا بالثوب
وحين استشرفوا للزهد ، وانخلعوا عن اللذة
تشهوا لذة أخبث من كل اللذاذات
تشهوا لذة الانكار للالام والبشر
وأن يمشوا خفاف الخطو مطويين فوق النفس
وحين تحدثوا استخفوا ورا الخرقه

الثـــــالث : تقول الحق ، لكنى أخشى ان خلعناها
بأن نصبح كالناس ، نجادل فى أمورهم
ونركب متن دنياهم ، ونسترضى رءوسهم
ونلغو فى سياستهم ، وندنو من سفيههم
وقد تبتل أيدينا بوبل من شرورهم
وقد يفسد قربهمو الذى نلنا ببعدهم

الأول : هنا ، توقفني الحيرة عن أن أقطع الأمرا !.

فماذا لو طرحنا همنا للشيخ حين يجيء

وهــذا وقت أوبته من المسجد

« ينتحـون جانبـا »

« صوت الحلاج من اقصى المسرح »

الحـــلاج : الى الىّ يا غرباء •• يا فقراء •• يا مرضى

كسيرى القلب والأعضاء ، قد أنزلت مائدتى

الى الى

لنطعم كسرة من خبز مولانا وسيدنا

الى الى ، أهديكم الى ربى

وما يرضى به ربى

« يتجمع الناس ويدخل ثلاثة آخرون ، يبدو عليهم التربص ، ملابسهم موحـدة ، ويبدو انهم من الشرطـة ، يعـرف ذلك من عيونهم وتهامسهم وقربهم من بعضهم البعض »

التـــاجر : من هــذا الشيخ الصــارخ

الفـــلاح : يهدينا ــ فيما يزعم ــ لله

شيخ مجذوب ، كم نلقى من أمثاله

في سوق الشحاذين

التاجر : هيا نذهب

فلقد خلفت ابنى فى دكانى

وهو ضعيف العقل

ان جاءته جارية حسناء

أعطاها ما قيمته خمس قطع

بثلاث أو أربع

الفلاح : وأنا قد بعت الحنطة فى السوق اليوم

وأريد العودة لعيالى فى ظاهر بغداد

بالمال سليما قبل الليل

لو أبطأت لقادتنى رجلاى

للخمارة حيث أذيب نقودى

فى كأس أو أدفنها فى تكة سروال

الواعظ : جازاك الله ، فما قلته

قد ألهمنى عظة الأسبوع القادم

ما أحلاها من موعظة مسبوكة

عن فلاح باع الحنطة فى السوق

أغـواه الشـيطان
فزنا بالمـال ، وعـاد ليلقى الصبية جوعى
فبكى .. و .. و ..
وسيلهمنى الله الباقى
وسأجعل عبرتها ونهايتها
احـذر كيد النسـوان

« يخرجـون »

« صوت الحلاج يرتفع ، وخطواته تتقدم ، والجمع يتحلق حوله »

أراد الله أن تجلى محاسنه ، وتستعلن أنواره
فأبدع من أثير القدرة العليا مثالا ، صاغه طينا
وألقى بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وجلاه ، وزينه ، فكان صنيعه الانسان
فنحن له كمرآة ، يطالع فوق صفحتها
جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا
فان تصف قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن
الى مرآتنا ، ويديم نظرته ، فتحيينا
وان تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا

ويهجرنـــا ، ويجفونـــا ..

وماذا يفعل الانسان ان جافاه مولاه ؟

يضيق الكون فى عينيه ، يفقد ألفة الأشياء

تصير الشمس فى عينيه أذرعـــة من النيران
يلقى ثقلها المشاء

على وجه السما والأرض ألوانا من اللهب

ويضحى البدر دائرة مهشـــمة رماديـــه

من القصدير ميتة وملقاة على بيداء

فقد جفت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء

وتذوى أذرع الأشجار ، تلقى حملها للأرض

وتدفنه كمجهضة تكفن عارها فى الطين

ويمشى القحط فى الأســـواق ، يجبى جزية
الأنفـــاس

من الأطفـــال والمرضى

حقيبته بلا قـــاع ، فلا تملأ اذ تعطى

ورغبته بلا رى ، فلا تسكت أن تسأل

وخلف القحط يمشى تحت ظل البيرق المرسل

جنود القحط ، جيش الشر والنقمـــة

خلائقهم مشوهة ، كأن الذيل فوق الراس
يقود خطاهمو ابليس،وهو وزير ملك القحط
وليس القتل والتدجيل والسرق
ولبس خيانة الأصحاب والملق
وليس البطش والعدوان والخرق
سوى بعض رعايا القحط ، جند وزيره ابليس
تعالى الله ، قد يأنف أن ينظر فى مرآتنا ذاته
فيصرف وجهـــه عنا
فكيف اذن نصفى قلبنا المعتم ؟
ليستقبل وجه الله ، يستجلى جمالاته
نصلى .. نقرأ القرآن
نقصد بيته ، ونصوم فى رمضان
نعم ، لكن هذى أول الخطوات نحو الله
خطى تصنعها الأبدان
وربى قصـــده للقلب
ولا يرضى بغير الحب
تأمل ، ان عشقت ألست تبغى أن تـــكون
شـــبيه محبـــوبك

فهـذا حبنـا لله

أليس الله نـور الكون

فكن نـورا كمثل الله

ليستجلي على مرآتنا حسنه

شـــرطى :

« مقاطعـا »

ولكن شيخنا الطيب ، هل ربى له عينان

لكى ينظر فى المرآة ؟

الحـــلاج : ولكن ولدى الطيب ، هل قفل على قلبك

حتى ينطق القرآن

« أم على قلوب أقفالها » ؟

شرطى آخـر : أجدت الرد ، كيف اذن تظن الله

بلا نعت ولا تشـبيه ؟

الحـــلاج : أظن الله ، كيف ، ونوره المصباح

وظنى كوة المشـكاه

وكونى بضعة منه تعود اليه

الشـــرطى : اتعنى أن هـذا الهيكل المهـدوم بعض منه

وأن الله جل جلاله متفرق فى الناس ؟

الحـــــلاج : بلى ، فالهيـكل المهـدوم بعض منـه ان طهـرت جوارحـه

وجل جلاله متفرق فى الخلق أنوارا بلا تفريق

ولا ينقص هذا الفيض أدنى اللمح من نوره

شرطى ثالث : فأنت اذن آله مثله ما دمت بعضا منه ؟

الحـــــلاج : رعاك الله يا ولدى ، لمـاذا تستثير شجاى

وتجعلنى أبوح بسر ما أعطى

ألا تعلم أن العشق سر بين محبوبين

هو النجوى التى ان اعلنت سقطت مروءتنا

لأنـا حينما جاد لنا المحبوب بالوصل تنعمنا

دخلنـا الستر ، أطعمنا وأشربنـا

وراقصنا وأرقصنا ، وغنينا وغنينا

وكوشفنا ، وكاشفنا ، وعوهدنا وعاهدنا

فلمـا أقبـل الصبح تفرقنـا

تعاهدنا ، بأن أكتم حتى أنطوى فى القبر

الشـــــرطى : كفى ، يا شيخ هذا القول عين الكفر ..

الحـــــلاج : عين الكفر .. ويلك .. هذا القول لى ، فاسـمع

وان كنت سألقى الهول لو كشفت وجه السر

أجل لا ، بل ويلتى جرجرت من زهوى الى حتفى

ولكن •• كيف •• هل أترك هـذا اللفظ ملقى فوق أثوابى ؟

اذن ، فاسمع ، وقل فى الأمر ما ترضاه

لقد أحببت من أنصف

فأعطـانى كمـا أعطيت

الشـرطى : يا أهل الاسلام •• هذا شيخ زنديق

شـرطى ثـان : فلنأخـذه للسـجن

شرطى ثالث : هيا •• يا كافر

أحد الصوفية : لا •• يا قـوم

هـذا سكر الصـوفيه

فاض القلب فعربد

غلب الوجد القصد

الشـرطى : هـذا لغو أجـوف

فلنحم الدين من الكفرة

صـــــوفى : « للمجتمعين.»

يا قــوم

هذا الشرطى استدرجه كى يكشف عن حاله

لكن هل أخذوه من أجل حديث الحب ؟

لا ، بل من أجل حديث القحط

أخذوه من أجلكمو أنتم

من أجل الفقراء المرضى ، جزية جيش القحط

الأعـــــرج : هذا حق فالشرطة خدام السلطان

ما للشرطة والحب

فلنطلقه من أيديهم

« ضجة وتلويح بالأيدى توشك ان تصبح مقتله »

الحــــلاج ، لا ، يا أصحـابى

لا تلقوا بالا لى

أستودعكم كلمـاتى

عودوا .. عودوا ..

ودعونى حتى تنفذ فى بدنى

لتؤدبنى

ألفاظ عتاب المحبوب النارية

الأبـــــرص : « لأحد الصوفية »
مـــاذا قـــال ؟

الصـــــوفي : مازال بحـــال الوجد ••
يتحدث من قلبه .

الشـــــرطي : يا قـــوم
الشيخ أقر بجرمه
فدعوه يمضي ليؤدب
يا شـــيخ ••
هل أقررت بجرمك ؟

الحـــــلاج : هـــذا حق يا ولدي ••
فلقد أجرمت بحقـــه
اذ أفشـــيت السر

الشـــــرطي : أســـمعتم ! ••

الحـــــلاج : عاقبني يا محبوبي اني بحت وخنت العهد
لا تغفر لي ، فلقد ضاق القلب عن الوجد
لكن عاقبني كعقاب الخصم خصيمه
لا كعقاب المحبوب حبيبه

لا تهجرنى ، لا تصرف عنى وجهك
لا تقتل روحى بدلالك
اجعل بدنى الناحل أو جلدى المتغضن
أدوات عقـابك

« يتقدم الحـلاج امام الشرطة كأنه يقودهم ، والجمع يتبعه ، وحين يشارف نهاية المسرح يرتفع صوت احد الصوفية » .

الصـــــوفى : هل نتركه للشرطة ؟

صـوفى آخـر : هـذا ما أوصانا به

« يخرج الصـوفية وهم يرددون ، هـــذا ما اوصانا به »

الأبــــرص : مـاذا تفعـل ؟..

الأحـــدب : ما رأيـك أنت ؟

الأعــــرج : هل نتبعهم لنرى ما يحدث ؟

« يخرجون وهم يرددون ، لنرى ما يحدث »

« يدخل الواعظ مسرعا من اقصى المسرح ، فيدرك الأعرج وهو يتبع زميله »

« للأعرج ، وهو يشد قميصه » يا هذا ..

ماذا كان هنا منذ هنيهه ؟

فلقد جلبتنى أصـــداء الضجه

الأعـــــرج : أخـــذته الشرطة ..

الواعـــــظ : من ؟

الأعـــــرج : الرجـــل الطيب

الواعـــــظ : ولمـــــاذا ؟ ..

الأعـــــرج : قد كان يحدثنا بحديث القلب

لم يستطع الكتمان ، فباح

دعنى أمضى

« يشد قميصه ، وينطلق »

الواعـــــظ : « وحده على المسرح » باح ..

بم باح ، لكى تأخذه الشرطة ؟

لا أدرى ، وعلى كل فالأيام غريبه

والعاقل من يتحرز فى كلماته

لا يعرض بالســـوء

لنظام أو شخص أو وضع أو قانون أو قاض

أو وال أو محتسب أو حاكم

(ســــتار)

الجـزء الثــانى

المــــوت

المنظر الأول

« سجن مظـلم ينفتح بابه ليدخـل منه الحلاج يدفعه حارس »

الحـــــارس : أدخل يا أعدى أعداء الله

الحـــــلاج : ليسامحك الله ، فقد أعطيت الحلاج المسكين
أعلى من قــدره

الحـــــارس : أدخل ، لا تكثر فى القول
ولتجلس بين رفيقيك

« يدخل الحلاج فلا يكاد يبصر شيئا فى الظلمة القاتمـة »

الحـــــلاج : يا صاحب هــذا البيت
هب ضيفك نورا حتى يكشف موضع قدميه
أو كحل بسنا ذاتك عينيه
يا صاحب هــذا البيت

السجين الأول : « هامسا لرفيقه » هذا رجل مأفون
يتوهم أنـا جئنا فى مأدبة أو حفل

الحـــــلاج : نورا يا صاحب هذا البيت ..

السجين الثانى : أطلب من حارسنا الطيب مصباحا أو شمعة

السجين الأول : « لرفيقه هامسا » لا يدرى أنـا فى قـاع السـجن

السجين الثانى : لسنا فى قصر الوالى

السجين الأول : أو بيت القاضى

السجين الثانى : أو فى خمارة شط الكرخ

الحـــــلاج : يا صاحب هـذا البيت
قد أبطـأ عن عينى نورك
ان كنت ترى أن أستهدى بالظن
فقد خطواتى

السجين الأول : فليرجو حارسنا الطيب
أن يمسك كفيه بحنان
ويقود خطاه حتى يلقيه
فى ظل الحـائط

السجين الثانى : لكن كفا حارسنا الطيب مغرمتان
بمداعبة الأضلاع وتجميش السيقان

السجين الأول : « بلهجة حزينة مشوبة بالمبالغة المسرفة »
أسـفا للمسـكين
آه لو أدركه الحارس بالنور

السجين الثانى : « بسخريـة »
لا تزعج بالك حتى لا يتمزق قلبك
من يدرى ، هل هو مسكين مثلى أو مثلك
سجنوه اذ هو أضـعف من أن يفلت من
عسف القـانون
أم شرير ، قد سلطت الأيام عليه شريرا.
أكبر منـه
شرطى خان النـاس وجمـع أموالا خبلت
عين رئيس الشرطة
فاستصفى ماله
ورماه فى السجن

السجين الأول : أو وال نقى مما أحرزه الأوباش
مكنونات وطرائف من نسوان ورياش.

ودعـا بوزير القصر فأطعمه وأنامه
فتحلب ريق وزير القصر
واستصفى ماله

السجين الثانى : ورماه فى السجن

الحـــلاج : يا صاحب هـذا البيت
شكرا ، لم يبطىء نورك
عليكما السـلام ، سيدى

السجين الأول : وعليـك ..

« وهو يجلس فى ركن قريب يتمتم ، ثم يعلو صـوته »

.. وباسمك اللهم كانت هجرتى ، وسارت الأقـــدام
بارك لنا اللهم فى الدخول والمقام

السجين الثانى : « هامسا » عرفتـه
من ذقنه ، وتستماته ، ولحيته
وذكره اسم الله فى مفتتح الكلام

السجين الأول : ومن يكون ؟ ..

السجين الثانى : قصاص مسجد الرصافة

ذاك الذى ــ فيما رووا ــ قد كان

يؤاخذ الجار بذنب الجار

السجين الأول : ماذا عنيت ؟

السجين الثانى : يطعن ان حركه الغرام

احبابه فى الظهر

السجين الأول : «ضاحكا» آه ، تعنى ابن بقين ..لا..لا..

بل انى أعرف من تعنيه

لا يشبه هــذا الشيخ

السجين الثانى : هل تعرفه معرفة طيبة حقا ؟

يا ويلى ، كيف ترى أغفو جنبك

فلتعلم أنى مهر لم يركب أو يركب

لا بأس بأن أركب

لكنى لا أركب

« يتحرك نحو صاحبه »

السجين الأول : صــــه

لا تهزر فى هذا أو أهشم رأسك

السجين الثانى : رأسى .. من أنت لتهشم رأسى

السجين الأول : لا تعرفنى حتى الآن
هه .. خذ كى تعرفنى
« يعاجله بضربة ، فيمسك الثانى بقدمه ويلويها »

السجين الأول : أطلق قدمى ستكسرها .. سأنادى الحارس

السجين الثانى : لا .. حتى تجعلنى أركب

السجين الأول : أطلق قدمى .. يا حارس .. هذا وحش مجنون

الحلاج : « يتقدم منه ويرجوه »
يا ولدى أرجوك
أطلق قدمه

السجين الثانى : من أجلك يا مولانا القا ..
قل لى .. قاض أنت ؟

الحلاج : قاض .. لا يا ولدى

السجين الثانى : أمعلم مسجد ؟

الحلاج : لا .. كيف أعلم
وأنا لا أعلم

السجين الأول : « وهو يقترب منه هامسا »
من أنت اذن ؟

الحـــلاج : اسمى الحلاج حسين بن المنصور

السجين الثانى : مـاذا تعمـل ؟

الحـــلاج : أتأمل يا ولدى

السجين الأول : شـاعر ؟

الحـــلاج : أحيـانا

السجين الأول : هل تقرأ فى كتب القدماء ؟

الحـــلاج : أحيانا

السجين الأول : هل تبحث فى أسرار الكون ؟

الحـــلاج : بل أشـهدها أحيانا

السجين الأول : مجذوب أنت ؟

الحـــلاج : دوما نحو النور

السجين الأول : هل أنت ولى ؟

الحـــلاج : لا بل مولى
وليى ووليك يشهد

« يتبادل السجينان النظر ، ويهمان ثم يتوقفان ، وبعد برهة ينطلقان فى واحـد »

السجينـــان : ولمـــاذا لا تسألنا من نحن ؟

الحـــــلاج : أصحابى فى دار الهجره

السجين الأول : ما معنى هـــذا ..

الحـــــلاج : عشنا حينا فى دار الخوف

تتكتم بين الأضـــلاع

سرا نخشى أن تسرقه الأسماع

لكن المسك انسكب بقلب الحلاج وذاع

فخرجت الى دار الهجره

السجين الأول : هـــذا رجل طيب

يلقى لفظا لا أدرى معناه

لكنى أشـــعر به

السجين الثانى : هذا رجل مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل رجل طيب

وولى من أهل الله ، وان أنكر

السجين الثانى : اسكت يا أحمق

هذا رجل دجال مسلوب العقل

السجين الأول : لا ، بل أنت الدجال المسلوب العقل

السجين الثانى : أنت غبى أحمـق

السجين الأول : بل أنت عنيد كالبغل

السجين الثانى : بل أنت حمار ينقصه برذعة ولجام

عفوا ، هذى برذعتك

وذراعاى لجامك

هيا احملنى للقصر الأبيض

كى أمدح مولانا والى الشام

بمعلقة من قافية اللام

وأعود بمهر وفتاة وغلام

حا .. حا .. حا .. « يمتطيه فوق كتفيه »

السجين الأول : دعنى .. أو ألقيك الى الأرض

فأهشـم أضـلاعك

السجين الثانى : لن تقدر ، قد أحكمت لجامك

« يلف ذراعية بعنف حول رقبته »

السجين الأول : دعنى يا مجنون

انك تخنقنى .. انى سأموت

السجين الثانى : فلينتقص عندئذ عدد رعية مولانا جحشا

السجين الأول : أنقذني يا حارس

يا حارس .. يا حارس .. يا حارس

« يعمل القفل فى الباب ، ثم يدخل الحارس ، فيلزم كل منهما مكانه متضائلا »

الحـــــارس : من صانع هــذى الضجة ؟

« للسجين الأول »

أنت

السجين الأول : لا ، يا مولاى الوالى

لم أنبس بنت شفه

فأنا أخشى غضبك

وأنزه هذا السمع المرهف

عن صوت السفلة من أمثالى

« يربت الحارس عليه ، ثم يتجه للثانى »

الحـــــارس : هو أنت ..

السجين الثانى : لا يا ســيد

فأنا أعرف أحكام الحبس

« الحارس يضع يده على جبهته متاملا ، ثم ينظر للحلاج ويقول »

الحـــــارس : فهو الثالث لابد ·
هذا أمر .. بالعقل
أنت الصـارخ

الحـــلاج : لا يا ولدى
بل كنت أحدث نفسى فى صوت خافت

الحـــــارس : خافت .. يا كذاب ؟

الحـــلاج : لا أكذب يا ولدى قط

الحـــــارس : وتناقشنى أيضا يا كذاب ؟

الحـــلاج : لا تشتمنى يا ولدى
فالسب خطيئة

الحـــــارس : كذاب .. وفقبه !
خـذ

« يضربه بالسوط ، والحلاج هادىء مبتسم ، يلم ثوبه »

« يزداد الشرطى عنفا ، وتتلاحق ضرباته ، ثم يهتف بالحلاج ، وقد ضاق بهدوئه »

الحـــــارس : لم لا تصرخ ؟

الحـــلاج : هل يصرخ يا ولدى جسد ميت ؟

الحـــارس : اصرخ •• اجعلنى أسكت عن ضربك

الحـــلاج : ستمل وتسكت يا ولدى

الحـــارس : اصرخ •• لن أسكت حتى تصرخ

الحـــلاج : عفوا يا ولدى ، صوتى لا يسعفنى

الحـــارس : قلت اصرخ •• أنت تعذبنى بهدوئك

الحـــلاج : فليغفر لى الله عذابك

أيخفف عنك صراخى •• قل لى

ماذا تبغى أن أصرخ •• فأقول ؟

الحـــارس : استحلفنى بالله ، بأولادى ، بتراب أبى •

أنظر لى نظرة خوف تتبع سوطى ، وهـو

يحلق ، ثم يرف ويتهاوى

اسأل لى الله بقاء ، أو سعة فى الرزق ، رقيـا

فى الجـاه

اصنع شـيئا يوقفنى ، أرجوك •• اجعلنى

أتوقف

فأنا قد أنهكت

« وهو يلهث »

أنهكت .. أنهكت .. أنهكت

ربى .. ما هـذا الاعياء ؟

يا شـيخ

قل لى من أنت ..

أنت الشـيطان ؟

بل أنت ملاك .. جبريل

بل أنت ولى من أهل الله

من أنت ؟ ! ..

من أنت ؟ ! ..

« يتهاوى بجانبه ، ويبكى على كتفيه »

أيا كنت اغفر لى .. اغفر لى ..

الحـــــلاج : بل أشكره أن أنصف حالى فى الحب

اذ عاقبنى فى بدنى

« الحلاج ينهض ، ويبتعد قليلا عن الحارس »

يارب

لو لم أسجن ، أضرب ، وأعذب

كيف يقينى عندئذ أنك ترعى عهد الحب ؟

لكنى الآن تيقنت يقين القلب

أنك تنظر لى ، ترعانى ..

ما زالت تستعظمنى عينك

ما زلت تراني أخلص عشاقك

عين الله على

وهداياه موصـوله

وطرائف نعمته مبذوله

فهنيئـا لى

فهنيئـا لى

« الحارس ينسحب متثاقل الخطو من جوار الحـائط ، حتى يقـارب البـاب ، ويلتفت للحلاج قائلا » :

الحـارس : ان لم يأتف منى قلبك

الحـلاج : فاذكرنى فى صلواتك يا شيخ

« يخـرج »

« يقترب السجينـان من الحـلاج ، يبـدا السجين الثانى الحديث »

السجين الثانى : سامحنا يا سيد

فالسجن يكشف أقبح ما فى الانسان

السجين الأول : هل تلعننا فى صلواتك ؟

الحـــــلاج : بل أدعو ربى أن يفرج همكما

السجين الأول : يتردد فى شفتى الآن ســـؤال لا أدرى ما أفعل به

هل تأذن لى أن ألقيه يا سيد ؟

الحـــــلاج : لا تكتم عنى يا ولدى

السجين الأول : أخشى أن يؤذيك سماعه

الحـــــلاج : بل يؤذينى أن تكتم ما فى نفسك

السجين الأول : « بعد تردد »

لم أنت هنا ؟

الحـــــلاج : مقدور يا ولدى ..

السجين الأول : لا أعنى هـــذا .. ساعـدنى .. لفظى لا يسعفنى

أعنى .. لم جاءوا بك ؟

الحـــــلاج : ليتم المقدور ..

السجين الثانى : « مشيرا للأول »

هذا رجل لا يحسن أن يتكلم
يعنى .. ما التهمه ؟

الحـــــلاج : أنى أتطلع أن أحيى الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
أمسيح ثان أنت !

الحـــــلاج : لا ، لم أدرك شأو ابن العذراء
لم أعط تصرفه فى الأجساد
أو قدرته فى بعث الأشلاء
فقنعت باحياء الأرواح الموتى

السجين الثانى : « ساخرا »
ما أهون ما تقنع به !

الحـــــلاج : لم تفهم عنى يا ولدى
فلــكى تحيى جســدا ، حز رتبــة عيسى
أو معجزتــه
أما كى تحيى الروح ، فيــكفى أن تمــلك
كلماتــه
نبئنى .. كــم أحيــا عيسى أرواحــا قبل
المعجزة المشهودة ؟

آلاف الأرواح ، ولكن العميان الموتى
لم يقتنعوا ، فحباه الله بسر الخلق
هبة لا أطمع أن تتكرر

السجين الثانى : وبماذا تحيى الأرواح ؟

الحـــلاج : بالكلمـات

السجين الثانى : أتراك تقول ..

صلوا .. صوموا .. خلوا الدنيا ، واسعوا
فى أمر الآخرة الموعوده .
وأطيعوا الحكام وان سلبوا أعينكم يتنزى
منهـا الـدم
رصوها ياقوتا أحمر فى التيجان
بشراكم ، اذ ترثون الملكوت
عفوا ، هذا لفظ من ألفاظ شبيهك ..

الحـــلاج شكرا ، تعطينى أعلى من قدرى
لكن فى قولك بعض الحق
فأنا أحيانا أصرخ فيهم : خلوا الدنيا الفاسدة
المهترئـة

ودعوا أحلامكم تنسج دنيا أخرى

السجين الثانى : دنيا أخرى من صنع الأحلام

الحـــــلاج : الحلم جنين الواقــع
أما التيجــان ..
فأنا لا أعرف صاحب تاج الا الله
والناس سواســية عندى
من بينهم يختــارون رءوسا ليسوسوا الأمر
فالوالى العــادل
قبس من نور الله ينور بعضا من أرضه
أما الوالى الظــالم
فستار يحجب نور الله عن الناس
كى يفرخ تحت عباءته الشر
هذا قولى .. يا ولدى

السجين الثانى : أقوال طيبة ، لكن لا تصنع شيئا
أقوال تحفر نفسى ، توقظ تذكارات شبابى
لأرانى فى مطلع أيامى الأولى
هل تدرى يا شيخى الطيب

انى يوما ما .. كنت أحب الكلمات

لمـــا كنت صغيرا وبريئـــا

كانت لى أم طيبة ترعـــانى

وترى نور الكون بعينى

وترانى أحلى أترابى ، أذكى أخدانى

فلقد كنت أحب الحـــكمة

أقضى صبحى فى دور العـــلم

أو بين دكاكين الوراقين

وأعود لأفاجئها بالألفـــاظ البراقة كالفخـــار المدهـــون

الجوهر والذات

المـــاهية والاسطقسات

والقاتيغوريات

« يونانى لا يفهم »

أمى كانت تلتذ بأقوالى تتجرعها أذناها شهدا

يتبسم خداها ، عيناها ، مفرقها المتغضن

ويغرد فى شفتيها صوت لا أسمعه الا فى ذاك الحين

« الله يصـــونك لى »
« ويمد حياتى حتى أتملاك »
« أستاذا فى بيت الحكمة »
« أو قاضى شرع »
« أو والى ربع »
« أو شيخا صاحب نعمة »
كانت أمى خادمة تجمع كسرات الخبز وفضل
الثوب
من بعض بيوت التجـــار
وأنـــا طفل لا همـــة لى
الا فى هـــذا اللغو المـــأفون
مرضت أمى ، قعدت ، عجزت ، ماتت
هل ماتت جوعا ، لا ، هذا تبسيط ساذج
يلتذ به الشعراء الحمقى والوعاظ الأوغـــاد
حتى يخفوا بمبالغة ممقوته
وجه الصـــدق القاسى
أمى ما ماتت جوعا ، أمى عاشت جوعانه
ولذا مرضت صبحا ، عجزت ظهرا ، ماتت
قبل الليـــل

الحـــــلاج : فليرحمها الله

السجين الثانى : بل فليلعن من قتلوها ..

الحـــــلاج : قتلوهـــا ؟ ..

السجين الثانى : من أعطـوا أمى ، ما يـكفى أن يطعمهـــا أو يطعمنى

من جعلونى آكل لحم الأم لأحيا وأشب

قل لى .. هل تصلحهم كلماتك ؟

الحـــــلاج : هل يصلحهم غضبك ؟

السجين الثانى : غضبى لا ينبغى أن يصلح بل أن يستأصل

الحـــــلاج : من تبغى أن تستأصل ؟

السجين الثانى : الأشرار ..

الحـــــلاج : بم تعرفهم ..

السجين الثانى : بتصرفهم

الحـــــلاج : يا ولدى

الشر دفين مطمور تحت الثوب

لا يعرفه الا من يبصر ما فى القلب

نحن هنا بضعة مخلوقات فى ركن من
أركان الدنيا
أنت .. أنا .. هذا .. حارسنا ذو
السوط المتدلى من خاصرته
من فينا الشرير .. من فينا الخير ؟
من فينا يستأصله سيفك ، أو يعفيه ويستبقيه
وهب السيف بغير يمينك
يمينى أو يمين الحارس
فمتى نرفعه أو نضعه ؟

السجين الأول : ولماذا لم تضعوا سيفا فى كفى ؟

الحلاج : من عندئذ تقتل .. ؟

السجين الأول : نفسى .. يا سيد ؟

السجين الثانى : « للأول »
دعنا من هذا الهذر الأجوف
« للحلاج »

السجين الثانى : اسمع لى يا شيخ
انك رجل من أذكى من قابلت فؤادا
أثبتهم جارحة عند الشده

وتحب الناس ، لأنك من أجل الناس سجنت
وعــذبت
لكن ، هل تقضى عمرك مقهورا فى ظل
الجدران المربده ؟
كالبومة تنعب فوق خرائب أيام السوء
حتى يأتى حجر طائش
ويهشـــم رأســك
لم لا تهرب ؟

الحـــــلاج : لم أهرب ؟

السجين الثانى : كى تحمل سيفك من أجل الناس

الحـــــلاج : مثلى لا يحمل ســيفا

السجين الثانى : هل تخشى حمل السيف ؟

الحـــــلاج : لا أخشى حمــل الســيف ولكنى أخشى
أن أمشى به
فالسيف اذا حملت مقبضــه كف عميــاء
أصبح موتــا أعمى

السجين الثانى : ولمــاذا لا تجعل من كلماتك نور طريقه ؟

الحـــــلاج : هب كلماتى غنت للسيف ، فوقع ضرباته
أصداء مقاطعها ، أو رجع فواصلها وقوافيه
ما بين الحرف الساكن والحرف الساكن
تهوى رأس كانت تتحرك
يتمزق قلب فى روعة تشبيه
وذراع تقطع فى موسيقى سجعه
ما أشقانى ، عندئذ ، ما أشقانى
كلمـــاتى قد قتلت

السجين الثانى : قتلت باسم المظلومين ..

الحـــــلاج : المظلومين ..
أين المظلومون ، وأين الظلمة ؟
أو لم يظلم أحد المظلومين
جارا أو زوجا أو طفلا أو جارية أو عبدا ؟
أو لم يظلم أحد منهم ربه ؟
من لى بالسيف المبصر !
من لى بالسيف المبصر ! ..

السجين الأول : هل تبكى يا سيد ؟..
لا تحزن ، قد ينفرج الحال

الحـــــلاج : لا أبكي حزنا يا ولدى ، بل حيره

من عجزى يقطر دمعى

من حيرة رأيي وضـــلال ظنوني

يأتي شجوى ، ينسكب أنيني

هل عاقبني ربى فى روحي ويقيني ؟

اذ أخفى عنى نوره

أم عن عينى حجبته غيوم الألفاظ المشتبهه

والأفـــكار المشتبهه ؟

أم هو يدعوني أن أختار لنفسى ؟

هبني اخترت لنفسى ، ماذا أختار ؟

هل أرفع صـــوتى ،

أم أرفع ســيفى ؟

مــاذا أختــار ؟ ..

ماذا أختار ؟ ..

« يظلم المسرح تدريجيا ، حتى ينعدم ضـــوءه مما يوحي بمرور الأيـــام ، ثم ينير تدريجيـــا كذلك ، لنرى نفس المشـــهد ، لكن لا نرى السجين الثاني ، القت الأيام على المشهد كله مزيدا من التعاسة ، حوائطه وارضـــه وحتى هوائـــه » .

السجين الأول : أيــام تسقط فى أيــام

وشهور تهوى فى جوف شهور

منذ ألقينا فى هذى البئر الملعونة

الحـــــلاج : كم لك فى السجن ؟

السجين الأول : أيــام قبــلك ..

الحـــــلاج : فلنصبر ، يا ولدى

السجين الأول : لا أدرى لم يضنينى السجن الآن ؟

ألأنى أعلم أن السجان

أولى منى بمكانى

لم لم تتركنى حين دعانى ثالثنا

أن أصحبه فى هربه ؟

الحـــــلاج : لكنى لم أمنعك

بل لم أعرف

السجين الأول : لكنك كنت تحس

ولهذا كنت كثيرا ما تأنس بى

وتقربنى ، فى أول ساعات الليل

وتحدثنى وتحدثنى حتى قيدت خطاى

ولهذا قلت لنفسى ، حين دعانى أن أهرب :
« ماذا يجـدى روحى أن تخرج من سجن
ضـيق
كى تلزم سجنا أهون ضيقا .. ؟ »
لنفسى قـلت :
« ماذا قد أفعل فى كون قد أنكرنى
لم يصبح فى وسعى أن أجد مكانا فيه
الا أن أنكر روحى،أقتل،هذا الشىء الغامض
النابت فى قلبى من كلماتك » ؟
ولنفسى قلت :
« ماذا يرجو انسان أكثر من أن يسعد ؟
وأنـا قد كنت سعيدا فى ظلك .. »
يا خيبة سـعيى
يا خيبة سـعيى
أحببتك حتى قيدنى حبك
فى هذا الفخ كأنى فأر مقعد
ليسامحك الله
بكلامك ضيعت حياتى ..

بكلامك ضيعت حياتى

الحـــــلاج : يارب

ألهمنى أن أختار

ألهمنى أن أختار

« فى هذه اللحظة ، يدخل كبير شرطة السجن، وبصحبته حارسان »

كبير الشرطــة : أيكما الحــلاج ؟

الحـــــلاج : أنــا يا ســيد

كبير الشرطــة : اليوم يحاكمك قضاة الدولة

فلتمض أمامى ..

الحـــــلاج : هذا أحلى ما أعطانى ربى ..

الله اختــار ..

الله اختــار ..

(ســـــتار)

المنظـر الثـانى

« محكمة كبير القضاة ببغداد قضاتها الثلاثة
ابو عمر الحمادى أنيق ببدين ، وابن سليمان،
قصير حفى فى حديثه هـادىء الصـوت ،
وابن سريج ، نحيـل حسـن السمت ، ثم
الحـاجب » .

أبـو عمـر : بسم الله الهادى للحق
وعليـه توكلنـا
ندعوه أن يهدينا للعدل
ويوفقنا أن ننهض بأماناتنا
يا حاجب ..
لم لم يأتوا بالرجل المفسد حتى الآن ؟

الحـاجب : الشرطة يأتون به من باب خراسان
وهم يلتمسون الطرق الخالية من العامة
حتى يتوقوا أهـل الفتنـة ..

أبـو عمـر : الفتنـة ! ..

لأن عدوا لله وللسلطان يؤدب

يتجمع أوباش الناس على الطرقات ؟

حقا ! ما أصغر أحلام العامة

الحـاجب : رجل كان سجينا معه فى باب خراسان

قد جمعهم منذ صباح اليوم .

أبـوعمـر : اهمال من والى الشرطة

لم لم يطلق فيهم أعوانه

الحـاجب : هذا ما يفعله الآن

أبـو عمـر : كم يبلغ عد العامه ؟ ..

الحـاجب : مائة أو مائتان

أبـو عمـر : لا .. لا .. لا خوف

لا قبل لهم بمواجهة الشرطه

انظر ، هل جاءوا بالرجل المفسد ؟

الحـاجب : سـمعا يا مولاى

« يخـرج »

ابـن سريـج : « فى صوت خفيض »

أآبـا عمر ، قل لى ، ناشدت ضميرك

أفلا يعنى وصفك للحـلاج ..

بالمفسـد ، وعـدو الله

قبل النظر المتروى فى مسألته

أن قد صـدر الحكم ..

ولا جدوى عندئذ أن يعقد مجلسنا ؟

أبـو عمـر : هل تسخر يا ابن سريج ؟

هذا رجل دفع السلطان به فى أيدينا

موسـوما بالعصـيان

وعلينا أن نتخير للمعصية جزاء عدلا

فاذا كانت تستوجب تعذيره ..

ابـن سـليمان : عـذرناه

أبـو عمـر : واذا كانت تستوجب تخليده

فى محبس باب خراسان

ابـن سـليمان : خـلدناه

أبـو عمـر : واذا كانت تستوجب أن يهلك

ابـن سـليمان : أهلكنـاه

أبـو عمـــر : لا ، ليس بأيدينا ، اذ نحن قضاة ، لا جلادون
ما نصنعه أن نجدل مشنقة من أحكام الشرع
والسـياف يشـد الحبـل

ابـن سـليمان : هـذا تعبير رائـع
لكن لا يستغرب ان يصـدر عن سـيدنا الحمـادى

أبـو عمـــر : عفوا ، عفوا ، يابن سليمان
اطراؤك يخجلنى ، ويذكرنى
أن الله يوفقنى
دوما للتعبير الرائـع
أحـكى لك قصـة ..
بالأمس لقيت صديقى القاضى الهروى
وهو كمـا تعـلم
رجل مغرور بقريحته وذكائه
فسـألته :
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فاحتار ، ولم يفهم

فأعدت القول ، لكى لا تبقى للقاضى حجه
« ما أجدى ما يطعن من طعن عن الطعن »
فتبلد وتحمحم
كحصان ابن زبيبة عنتر ..
« فازور من وقع القنا بلبانه
وشكى الى بعبرة وتحمحم »
انى أروى آلاف الآلاف من الأبيات
لولا حفظى ماء الوجه لقلت الشعر
وسبقت أبا تمام وابن الرومى فى صيد التبر
لكنى رجل لا يغرينى المـال ، كما تعلم
لنعد لحكايتنـا ..
لم يعرف قاضينا المغرور بعقله
معنى تعبيرى الرائـع
فحككت له أنفى ، ثم مَضيتَ

ابـن سـليمان : يبقيك الله ، فقد كشفت غباءه
لكن ، قـل لى
فتح الله عليـك
ما معنى هـذا القول ؟

أبــو عمـــــر : هل تدرك معناه يا ابن سريج ؟

ابــن سريــج : يا مولانــا

جئنا فى مجلس حكم لا فى مجلس ألغاز

وأنــا رجل محدود يقصر عقلى

عن أن يتســع لتعبيراتك

أبــو عمـــــر : رذ لبق ، والله

لكن لا يعفيك من الرد

ابــن ســليمان : رد لا يعفيه من الرد

هــذا أيضا تعبير رائــع

ابــن سريــج : يا مولانــا

أنشــدك الله

حتى لا تزدحم القاعة بالتعبيرات الملتويه

فتضــل بها خطوات العدل

فسر لابن سليمان معنى تعبيرك

أبــو عمـــــر : خذ يابن سليمان

الطعن الأولى معناها طعن الأضراس

تتتك .. تتتك .. تتتك ..

أما طعن الثانية فمعناها أوغل فى العمر

اه •• اه •• اه

أما الطعن الثالثة فمعناها طعن الأفخاذ

شكشك ، شكشك ، شكشك

والآن اسمع وتأمل ••

ما أجدى الطعن لمن طعن عن الطعن

أى ••

ما أجدى الأكل لمن عجز عن ••

الحاجب : يا مولانا القاضى

قتلوا المسجون الهارب .

لكن العامة مازالت تتجمع فى الطرقات

أبو عمر : نقصوا أم زادوا ؟

الحاجب : نصفهمو قد فر أمام الشرطة

أبو عمر : هذا ما كنت أظن

لا •• لا •• لا خوف

« ينسحب الحاجب ، ويلتفت لابن سليمان »

ما رأيك يا ابن سليمان فى هذا اللغز ؟

ابن سليمان : ما أمتع أسمارك يا مولانا
ليس غريبا أن يؤثرك الخلفاء أنيسا
ويقربك الوزراء جليسا
ويكون لك الرأى المسموع

أبو عمر : بل علمى يبهرهم يا ابن سليمان

صوت الحاجب : « من باب القاعة »
مولانا بكر بن الأوسي والى الشرطة
وبصحبته الحلاج حسين بن المنصور .

« يدخل والي الشرطة ، ومعه الحلاج ، ويحيي الوالي القضاة بالسلام فيردونه ، ثم ينصرف ويترك الحلاج ماثلا امام القضاة »

أبو عمر : يا حلاج .. اتدرى لم جئت هنا ؟

الحلاج : ليتم الله مشيئته يا سيد

أبو عمر : هذا حق ..
والله تبارك وتعالى .
قد ثبت فى كف خليفتنا الصالح ــ أبقاه الله ــ
ميزان العدل وسيفه

الحـــــلاج : لا يجتمعان بكف واحدة يا سيد

أبـــو عمـــــر : هذا ضرب من فتان القول

لا يدركه أمثالك من أهل الفتنة

ابـــن مســليمان : حلو •• حلو ••

لم يفتنى قولك يا سيد

أبـــو عمـــــر : سيروعك قولى فيما بعد

فاســـمع وارتـــع

مولانا لا يدفع عبدا ممن ولى فيهم للسياف

الا أن أحصى ما فرط من أمره

فى ميزان الانصـــاف

مولانا يدري من زمن أنك تبغى فى الأرض فســـادا

تلقى بذر الفتنـــة

فى أفئدة العامـــة

وعقول الدهمـــاء

تستتر خلف الذقن الشهباء

أو أثواب المجذومين الفقراء

والأقوال الغامضة المشتبهات القصد

اذ تسبكها وتقفيها كهذاء الشعراء

قل لى .. ماذا تبغى بهذائك ؟

هل تبغى أن يضع المسلم ..

فى عنق المسلم سيف الحقد ؟

الحلاج : لا .. يا سيد

بل أبغى لو مد المسلم للمسلم

كف الرحمة والود

أبو عمر : ولهذا تعرض للحكام

من أهل الرأى وأصحاب النعمة

ماذا تبغى ؟

أن يختل الناموس ويصبح أمر العامة

أعلى من أمر الخاصة

أن يحكم فينا الحمقى والجهلة

أن يعطى الأمر لمن ليس بأهل له

ابن سليمان : فتقوم الساعة

أبو عمر : يا حلاج

الجرم الثابت لا ينفيه أن تتباله وتتمتم

ابـن سريـج : يا مولانا ، هلا أعطيت الرجل المهلة أن يتكلم
فلقد حققت وأحكمت التهمة ، ثم أدنت

أبـو عمــر : ما حاجتنا أن نسمع فى هذا المجلس
فيضا من لغو القول المبهم ؟
فليعل حديث العدل اذا خرس الجرم
قـال الله تعـالى :
« انما جزاء الذين يفسدون فى الأرض »

ابـن سـليمان : أأبا عمر .. حقا ما قلت
لكنى أرجو أن نبعث برسول للقصر
نستفتيه فى أمر الحـكم

أبـو عمــر : هل تخشى أن تحمل دم هذا المفسد ؟

ابـن سـليمان : لا أخشى أن يلزم دمه عنقى باسم الشرع
لكنى لا أرضى أن يلزمنى باسم السلطة
فأنا لم أشـهده يبغى افسـادا فى الأرض

أبـو عمــر : الشرطة قد شهدته

ابـن سـليمان : لكنى لم أتحقق من قول الشرطة ..

أبــو عمـــر : يا ابن سليمان

لسنا أهــل لتحقيق

بل أهل الفتوى ، أعلم هذا الجيل باحكام الشرع

فالشرطة والوالى والسلطان يسوســون .. أمور الأمــة

ويميزون الجـــانى ، ويقيســونَ الجــرم بامعــان وتثبت

فاذا صح الجــرم لديهم ، وقفوا الجــانى بين يدينــا

لنرى فيه الرأى الشرعى الصائب

ابــن ســليمان : يا مولانــا

رأيى من رأيــك ..

لكنــك قــد وضحتــه

ببيان مثلى لا يدرك حسنه

فلتسمح لى أن أعرض رأيى

بعباراتى الجرداء من الفطنــه

انى قــد أســال نفسى الآن

من نحن ، وما علة هـذا الجمع ؟
نحن رجال العلم ، وأهـل الشرع
والوالى يستفتينـا فى أمر
وعلينـا اتقـان الفتوى
أنـا لا يعنينى ما اسم المتهم الماثل بين يدينا
والحلاج لدينا حال ، لا شخص ماثل
وكأن الوالى يسـألنا
ما حـكم الشرع العـادل
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنـة

وهنا تتملى فى الأحكام ، وننشرها ، تتخير منها،
ونقـول :
للوالى ، لا للحـلاج
هـذا حـكم الشرع
فى من يبغى فى الأرض فسادا ، يبذر فيها بذر الفتنـة

أن تقطع أرجله ، أيديه ، ويصلب فى جـذع الشـجرة

ويفض المجلس

هل فتوانا ملزمة للوالى ؟

لا .. فله أن ينفذهـا

أن أن يسترجع أمره

وهنا لا نحمل وزر دم مسفوك فى ظلم

أو عدل أو عدل

ابن سريج : لا ، لا ، يابن سليمان

ما تنسجه من محبوك القول

أحبولة شيطان

ان الكلمات اذا رفعت سيفا ، فهى السيف

والقاضى لا يفتى ، بل ينصب ميزان العدل

لا يحكم فى أشباح ، بل فى أرواح أغلاها الله

الا أن تزهق فى حق ، أو فى انصاف

الوالى والقاضى رمزان جليلان

للقدرة والحق

لا تدنو من مرماها أفراس القدره

لا تبلغ غايتها

الا أن أمسك فرسان الحق

بزمـــام أعنتها
فاذا شئتم أن ينقلب الحــال
ان تلقوا فرســان الحــق
صرعى تحت حوافر أفراس القدره
فأنــا أستعفى من مجلســكم

أبــو عمـــر : يا ابن سريج
هــذا مجلس حكم مخصــوص
وله تقــدير مخصــوص
ينظر فى أمر مخصــوص
وكمــا قــال القــائل

ابــن سريــج : « مقاطعــا »
مخصوص .. مخصوص .. مخصبوص
هل خصوا هــذا المجلس بالظــلم
قل لى فى لفظ واضــح
هل نحن قضــاة باسم الله
أم باســم الســلطان ؟

أبــو عمـــر : بل قــل أنت

أو تنكر أن السلطان خليفة رب الأكوان
على الأكوان ؟

ابن سريج : هذا السلطان العادل ...

أبو عمر : أو تبغى أن تدفع عن مولانا صفة العدل ؟

ابن سريج : بل أرجو أن أثبتها له

ليس العدل تراثا يتلقاه الأحياء عن الموتى
أو شارة حكم تلحق باسم السلطان اذا
ولى الأمر

كعمامته أو سيفه
مات الملك العادل
عاش الملك العادل
العدل مواقف
العدل سؤال أبدى يطرح كل هنيهه
فاذا ألهمت الرد ، تشكل فى كلمات أخرى
وتولد عنه سؤال آخر ، يبغى ردا
العدل حوار لا يتوقف
بين السلطان وسلطانه

أبـو عمـــر : العدل .. العدل

ماذا تبغى حتى يجري العدل

ابـن سريـج : أن نسمع صوت المتهم المـاثل بين يدينا

ونسائل أنفسنا وضمائرنا

أبـو عمـــر : هـه ...

هو لا يبغى أن يتكلم

وعلى كل ، مازالت جلستنا ممدوده

فليسمعنا شـيئا من لغوه

يا هـذا الشيخ المنفوش اللحيه

بم تدفع عن نفسك .. ؟

الحـــلاج : لستم بقضـاتى ،

ولذا لن أدفع عن نفسى

ابـن سريـج : « للحـلاج »

يا حـلاج ...

لا تدفع عن نفســك

بل حـدثنا عما فيهـا

ان كان هو الحق ، عرفناه معك

واذا كان الباطـل
تبهنـاك اليه
وأخذنـاك بجرمـه ...

الحـــلاج : أوعدتم ان كان الحق ...
أن تمضـوا فيه معى ؟

أبـو عمـر : نمضى فيه معك .. ؟
اما أنك رجل ساذج
أو أنك أذكى مما تتصور
ولهذا أفسدت صعاليك العامه
وعلى كل ، لا ضـير
قد نصبح من أتباعك « ساخرا »
من أنت ، وما خطبك ... ؟

الحـــلاج : أنـا رجل من غمار الموالى ، فقير الأرومة والمنبت
فلا حسبى ينتمى للسـماء ، ولا رفعتنى لها ثـروتى
ولدت كآلاف من يولدون ، بآلاف أيام هذا الوجـود

لأن فقيرا ــ بذات مســاء ــ ســعى نحو
حضن فقيرة
وأطفأ فيه مرارة أيامه القاســية
نموت كآلاف من يكبرون ، حين يقــاتون
خبز الشموس
ويسقون مــاء المطر
وتلقاهم صبية يافعين حزانى على الطرقات
الحزينــه
فتعجب كيف نموا واســتطالوا ، وشــبت
خطاهم ...
وهــذى الحيــاة ضنينه
تسكعت فى طرقات الحياة ، دخلت سراديبها
الموحشــات
حجبت بكفى لهيب الظهيرة فى الفلوات
وأشعلت عينى ، دليلى ، أنيسى فى الظلمات
وذوبت عقلى ، وزيت المصــابيح ، شمس
النهار على صفحات الكتب
لهثت وراء العــلوم ســنين ، ككلب يشم
روائح صــيد

فيتبعها ، ثم يحتـال حتى ينال سبيلا اليها ،
فيركض ،

ينقض

فلم يسعد العلم قلبى ، بل زادنى حيرة راجفة
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أني ضئيل كقطرة طل
كحبـة رمـل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمى ما قادنى قط للمعرفـة
وهبنى عرفت تضاريس هذا الوجود ...
مدائنـه وقـراه
ووديانـه وذراه
وتاريخ أملاكه الأقـدمين
وآثـار أملاكه المحـدثين

فكيف بعرفان سر الوجـود ، ومقصـدى
مبتدا أمره ، منتهاه
لكى يرفع الخوف عني ، خـوف المنون ،
وخوف الحياة ، وخوف القدر

لكى أطمئن

سألت الشيوخ ، فقيل

تقرب الى الله ، صل ليرفع عنك الضلال ..

صل لتسعد

وكنت نسيت الصلاة ، فصليت لله رب المنون

ورب الحياة ورب القدر

وكان هواء المخـافة يصفر فى أعظمى ويئز

كريح الفلا ... وأنـا ساجد راكع أتعبد

فأدركت أنى أعبد خوفى ، لا الله ...

كنت به مشركا لا موحـدا

وكان الهى خوفى

وصليت أطمع فى جنته

ليختال فى مقلتى خيال القصور ذوات القباب

وأسمع وسوسة الحلى ، همس حرير الثياب

أنى أبيع صلاتى الى الله

فلو أتقنت صنعة الصلوات لزاد الثمن

وكنت به مشركا ، لا موحدا

وكان الهى الطمــع
وحير قلبى ســؤال :
ترى قدر الشرك للكائنات
والا ، فكيف أصلى له وحده
وأخــلى فؤادى مما عــداه
لكى أنزع الخوف عن خاطرى
لكى أطمئن ...
« ســكتة »
كما يلتقى الشوق شوق الصحارى العطاش
بشوق السحاب السخى
كذلك كان لقــائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد ، قدس تربته ربه
وجمعنا الحب ، كنت أحب السؤال ؛ وكان
يحب النوال
ويعطى ، فيبتل صخر الفؤاد
ويعطى ، فتندى العروق ويلمع فيها اليقين
ويعطى ، فيخضر غصنى
ويعطى ، فيزهر نطقى وظنى

ويخلع عنى ثيابى ، ويلبسنى خرقة العارفين
يقول هو الحب ، سر النجاة ، تعشق تفز
وتفنى بذات حبيبك ، تصبح أنت المصلى ،
وأنت الصلاه
وأنت الديانة والرب والمسجد
تعشقت حتى عشقت ، تخيلت حتى رأيت
رأيت حبيبى ، وأتحفنى بكمال الجمال ،
جمال الكمال
فأتحفته بكمال المحبه
وأفنيت نفسى فيه

أبو عمر : صمتا : هذا كفر بين !

ابن سريج : بل هذا حال من أحوال الصوفيه
لا يدخل فى تقدير محاكمنا
أمر بين العبد وربه
لا يقضى فيه الا الله
لنسائله عن تهمة تحريض العامة
فلهذا أوقفه السلطان هنا .
هل أفسدت العامة ، يا حلاج ؟

الحـــــلاج : لأ نفسد أمر العامة الا السلطان الفاسد
يستعبدهم ويجوعهم

ابـن سـليمان : يعنى هل كنت تحض على عصيان الحكام

الحــــلاج : بل كنت أحض على طاعة رب الحكام
برأ الله الدنيا أحكاما ونظاما
فلماذا اضطربت ، واختل الاحكام ؟
خلق الانسان على صورته فى أحسن تقويم
فلماذا رد الى درك الأنعـام ؟

أبـو عمــــر : ماذا يعنى هـذا الشيخ ؟
هل هذا أيضا من أحوال الصوفية ؟
أم يستخفى خلف الألفاظ المشتبهه
كى يخفى وجه جريمته الشنعاء ؟
انى أسألك سـؤالا محدودا
لتجيب جوابـا محـدودا
هل تزعم أنك صـوفى .. ؟

الحــــلاج : الله يصنفنى حيث يشاء

أبـو عمــــر : هل تزعم أنك فارقت الدنيا وشواغلها ؟

الحـــــلاج : ها أنــا ذا فى الدنيا يا ســيد
أشغل نفسى بالرد على أسئلتك

أبــو عمـــر : هل أرسلت رســائل لأبى بكر المــاذرائى وســواه
تدعــوهم فيهــا أن ينتقضــوا ، ويهبــوا ضـــد الدولة ؟

الحـــــلاج : الدولة •• !
لا أشغل نفسى بالدوله
بل أشغلها بقلوب أحبــائى

أبــو عمـــر : تنــكر •• ؟
يا حاجب •••
قل للشرطة يأتوا بالمــاذرائى

الحـــــاجب : هرب المــاذرائى من بغداد يا مولاى
وكذلك حمد الطولونى والقنائى

أبــو عمـــر : منذ متى •• ؟

الحـــــاجب : من يومين •• ؟
مذ أنبأهم جاسوس بالقصر

عن قرب محاكمة الحلاج

أبــو عمـــر : كيف عرفت .. ؟

الحـــاجب : أنبتنى الشرطة يا مولاى

أبــو عمـــر : « للحــلاج »

أحسبك الآن ستمضى فى انكارك

لكنى من نطقك سأدينك

هل أرســلت رســائل ؟

الحـــلاج : قطع من قلبى أهديها لقلوب أحبائى

أبــو عمـــر : مــاذا فيهــا ؟

الحـــلاج : تذكير لهم أن الانسان شقى فى مملكة الله

لم يبرأنا البارى ليعذبنا ، ويصغرنا فى عينيه

بل ليرانا ننمو ، وتلامس جبهتنا وجه الشمس

أو نمرح تحت عباءتها كالحملان المرحه

أبــو عمـــر : لم أرسلت اليهم برسائلك المسمومه ؟

الحـــلاج : هــذا ما جال بفكرى

عاينتُ الفقر يعربد فى الطرقات

ويهــدم روح الانســان

فســألت النفس :

مــاذا أصــنع ؟

هل أدعو جمع الفقراء

أن يلقوا سيف النقمــه

فى أفئدة الظلمــه ؟

ما أتعس أن نلقى بعض الشر ببعض الشر

ونداوى اثمــا بجريمــه

مــاذا أصــنع .. ؟

أدعــو الظلمــة

أن يضعوا الظلم عن الناس

لكن هــل تفتح كلمــه

قلبا مقفولا برتاج ذهبى ؟

مــاذا أصــنع ؟

لا أملك الا أن أتحدث

ولتنقل كلماتى الريح السواحه

ولأثبتها فى الأوراق شهادة انسان من أهل الرؤيــه

فلعل فؤادا ظمآنا من أفئدة وجوه الأمه

يستعذب هـذي الكلمـات

فيخوض بها فى الطرقـات

يرعاها ان ولى الأمر

ويوفق بين القدرة والفكره

ويزاوج بين الحكمة والفعل ..

أبـو عمـــر : هل تبغى أن يرتفع الفقر عن الناس ؟

الحـــلاج : ما الفقر ؟

ليس الفقر هو الجوع الى المـأكل والعرى الى الكسوه

الفقر هو القهر

الفقر هو استخدام الفقر لاذلال الروح

الفقر هو استخدام الفقر لقتل الحب وزرع البغضـاء

الفقر يقول ـ لأهل الثروه ـ

اكره جمـع الفقراء

فهمو يتمنون زوال النعمة عنك

ويقول لأهـل الفقر

ان جعت فكل لحم أخيك

الله يقول لنا :
كونوا أحبابا محبوبين
والفقر يقول لنا :
كونوا بغضـاء بغاضين
اكره •• اكره •• اكره
هـذا قول الفقر

أبـو عمـــر : هذا أمر لا يسكت عنه
هـذا الشيخ يقول :
الانسان شقى فى مملكة الله
معنى هذا أن الأمة تشقى فى ظل خلافة مولانا
ويقول :
ان الفقر يعربد فى الطرقات
معنى هذا أن الأمة لا تجد الأقوات
ولنسأل عندئذ من سلب الأقوات !
ويقول :
لكن الكلمة لا تفتح قلبا مقفولا برتاج ذهبى
يعنى الأمراء وأهل الجـاه
وتؤدى هـذى الألفاظ المشتبهه

بالفقراء الى نبذ الطـاعه ..

ولزوم الفتنــه

ولهذا أحكم مرتاحا باداتته وعقابه

ما رأيك يا ابن سليمان ؟

« قبل ان يجيب ابن سليمان ، يدخل الحاجب على عجل »

الحـــاجب : مبعوث من عند وزير القصر

يستأذن أن يدخــل

أبــو عمـــر : من عند وزير القصر

فليدخــل ....

المبعـــوث : مولاى وزير القصر

يهــديكم تقــديره

ويوجه هــذا المكتوب اليك

« يعطى أبا عمر الخطاب ، فينشره ، وينظر فيه »

أبــو عمـــر : « وهو ينظر فى الخطاب »

مولاى وزير القصر

لطفـا منه وكرامـه
ينبينا فى مكتوبه
« يقـرأ »
أن الدولة قد سامحت الحلاج
فيما نسب اليه ، وتثبت منه السلطان
من تحريض العامة والغوغاء على الافساد
وعفت عنه عفوا كليا لا رجعة فيه

ابـن سـليمان : هذا حقا ، لطف من مولانا وكرامه

أبـو عمـــر : « مستأنفا فى الخطاب »
لكن وزير القصر يضيف :
« هبنا أغفلنا حق السلطان .. »
ما نصنع فى حق الله ؟
فلقد أنبئنا أن الحلاج
يروى أن الله يحل به ، أو ما شاء له الشيطان
من أوهـام وضـلالات
ولهذا أرجو لو يسأل فى دعواه الزنديقية
فالوالى قد يعفو عمن يجرم فى حقه
لكن لا يعفو عمن يجرم فى حق الله »

ابـن سـليمان : هـذا أيضا حق !

ابـن سريـج : بل هـذا مكر خادع

فلقد أحكمتم حبل الموت

لكن خفتم أن تحيا ذكراه

فأردتم أن تمحوهـا

بل خفتم سخط العامة ممن أسمع أصواتهم

من هـذا المجلس

فأردتم أن تعطوه لهم مسفوك الدم

مسفوك السمعة والاسم

يا حـلاج ...

هل تؤمن بالله ؟

الحـــلاج : هو خالقنا واليه نعود

ابـن سريـج : هذا يكفى كى يثبت ايمانه

أبـو عمـر : يا ابن سريج

انى لا أبحث فى ايمانه

بل فى كيفية ايمانه

ابـن سريـج : كيفية ايمانه .. ؟

هل تبغى أن تنبش فى قلبه
هل هـذا من حق الوالى
أم من حـق الله ؟

أبـو عمـر : هذا من حق قضاة الشرع

ابـن سريـج : لا ، بل هـذا من حق الله
فأنا لا أجرؤ أن أسأل رجلا عن ايمانه
فاذا شئتم أن تمضوا فى هذا الاثم ...

أبـو عمـر : سنمضى يا ابن سريج

ابـن سريـج : فأنا أستعفى من مجلسكم

أبـو عمـر : هـذا لك يا ابن سريج

**« يغادر ابن سريج مجلسه ، ويخرج مسرعا
من القاعة ، وهو يقول »**

بل هـذا من حق الله
بل هـذا من حق الله

أبـو عمـر : مازالت جلستنا معقوده

« يعود الى الخطـاب »

هذى حاشية فى مكتوب وزير القصر ...
تقول ...

« أرجو أهل العدل ، قضاة الحق

أن يستفتوا فى أمر الحلاج شهود الصدق

والشرطة قد جمعتهم فى باب القاعة

كى تكفيكم هــذا الأمر »

يا حــاجب

من بالبــاب

الحـــــاجب : الشبلى الصوفى وبعض العامة

أبــو عمـــر : أدخــلهم

« يخرج الحــاجب ، ويدخــــل وبصحبتــه الشــبلى ، تتبعــه جمــاعة الفقــراء الذين شهدناهم فى المنظر الأول »

« يتقــدم الشــبلى »

أبــو عمـــر : أقدم يا شبلى

« الشبلى يتقدم امام المحكمــة »

أبــو عمـــر : هل تعرف هذا الشيخ ؟

« الشبلى يشير براســه موافقا »

ماذا تعرف عنه ؟

الشـــــبلى : مولاى ••• أقلنى ، واصرفنى

فلقد جذبونى من بين أحبائى

وأتوا بى مخفورا مقهورا

أبــو عمـــــر : ان كنت تحب العدل

فاشهد بين يدينا بجلية أمر الحلاج

الشـــــبلى : بجلية أمره .. ؟

هذا سلطان لا يملكه الا الله

أبــو عمـــــر : أو ليس صديقا لك ؟

الشـــــبلى : واماما من أعلى أهل طريقتنا قدرا

أبــو عمـــــر : هــل تزعم مثــله

أن الله تجــلى لك ..

أو حل حلولا فى جسدك ؟

الشـــــبلى : كل منا يتحدث عن حاله

أو يصمت حين يشاهد

الحــلاج يرى ...

فيجن من الفرحة ، حتى يهذى ويعربد

وأنــا أتلذذ فى صمتى

أبــو عمـــــر : بك أيضا ، قد حل الله ؟

الشـــــبلى : يا مـــولاى

ان أحببت وأخلصت العهد

هل تبقى ذاتك ذاتك

أم تفنى فى محبوبك

وبهذا يشعر أهـــل الوجد

فنيت نفس فى خالقهـــا

فنيت ذات فى ذات

لم يصبح فى دنياك سوى ذاته

حتى أنت

قـــد أصبحتـــه

أبـــو عمـــــر : كفر .. كفر

هل هذا قولك أم قول الحلاج ؟

الشـــــبلى : يا مـــولاى

أرجوك ... اصرفنى ... انك تلقى بى فى النـــار

فلقد عاهـــدت الله

ألا افشى نعمـــاءه

ألا أكشف وجه الأسرار

ألا أتحدث عن حالى قط

دعنى أرعى عهدى ، واصرفنى

أبـو عمـــر : قول الحلاج اذن ...

الشـــبلي : « متوسـلا »

هل أخرج يا سـيد ؟

أبـو عمـــر : اخـرج

« يخرج الشـبلى مرتاعا »

« يلتفت ابو عمر الى جمع الفقراء »

ما رأيكمو يا أهل الاسلام

فيمن يتحدث أن الله تجلى له

أم أن الله يحل بجسده ؟

المجمـــوعة : كافر .. كافر

أبـو عمـــر . : بم تجزونـه ؟

المجمـــوعة : يقتل ، يقتل

أبـو عمـــر : دمه فى رقبتكم .. ؟

المجمـــوعة : دمه فى رقبتنا

أبـو عمـــر : والآن .. امضوا ، وامشوا فى الأسواق

طوفوا بالساحات وبالخانات
وقفوا فى منعطفات الطرقات
لتقولوا ما شهدت أعينكم
قد كان حديث الحلاج عن الفقر قناعا
يخفى كفره
لكن « الشبلى » صاحبه قد كشف سره
فغضبتم لله ، وأنفذتم أمره
وحملتم دمه فى الأعناق
وأمرتم أن يقتل
ويصلب فى جذع الشجره
الدولة لم تحكم
بل نحن قضاة الدولة لم نحكم
أنتم ...
حكمتم ، فحكمتم
فامضوا ، قولوا للعامة
« العامة قد حاكمت الحلاج امضوا ..
امضوا .. امضوا ..
« يخرجون فى خطى متباطئة ذليلة »

(ستار)

تذييـــل

(أ) ولد الحسين بن منصور الحلاج حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ، وكان أبوه يشتغل بصناعة الحلج وعمل هو بهـا زمنا . ومن هنا أتاه اللقب .

وتلقى خرقه الصـوفية فى شبابه عن المتصـوف المعروف عمرو المكى . وذلك بعد لقاء قصير بسهل التسترى ، احد كبار المتصوفين . والخرقة رمز الانخلاع عن الدنيـا والفناء فى الجماعة الصـوفية . ثم تزوج بعد ذلك بامراة بصريـة . أولدهـا أولادا وعاش معها حياته كلها .

واتصل بعد ذلك بالجنيد شيخ صوفية عصره . ثم صار له مريدون عبر عنهم فى قصـائده بقوله « أصحابى وخلائى » . وقد اختلف مع صوفية عصره حين اخذ يتصل بالناس ويتحدث اليهم . فنبذ خرقة الصـوفية .

وطاف بعد ذلك ببلاد الهند . ثم عـاد الى بغداد ليعظ ويتحدث عن مواجده . يبث الآراء الاصـلاحية . ويتصل ببعض وجوه الدولة . ويجمع حوله مجموعة من الفقراء . وظلت حياتـه بين سجن ومحاكمات لا تتم . واتهـام وتكريم حتى كانت محاكمته الأخيرة فى عام ٣٠٩ هـ . امام القاضى المـالكى أبن عمر الحمادى . ومعه قاضيان احدهمـا شافعى والآخر حنفى كمـا جرت بذلك العـادة .

وقد ترك لنا الحلاج مجموعة من الأشعار تتحدث عن مواجده الصوفية . ومجموعة من الأشعار النثرية فى كتابه الممتع العظيم « الطواسين » .

وقد كان لمقال ماسينيون « المنحنى الشخصى فى حياة الحلاج » . ولكتاب « أخبار الحلاج » الذى حققه ماسينيون وعلق عليه مع بول كراوس أكبر الأثر فى لفتى الى سيرة هذا المجاهد الروحى العظيم . وفى مقال ماسينيون اشارة الى الدور الاجتماعى للحلاج فى محاولته اصلاح واقع عصره . وماسينيون ينسب الحلاج الى الحنابلة . ويجعل الشيعة ــ ومنهم كان الوزراء وكبار الحكام ــ عدا الخليفة ــ هم الساعون فى دمه . وذلك بعد تحقيق تاريخى مسهب .

والاشارة لدوره الاجتماعي نجدها فى المراجع العربية القديمة . فالاصطخرى يقول انه استمال جماعة من الوزراء وطبقات من حاشية السلطان وامراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة ومن والاها .. استمالهم لماذا ؟ لا يحدثنا الاصطخرى .

ولكن أضواء اخرى تلقى على طبيعة هذه الاستمالة مثل تأكيد الجويري فى كتابه كشف المحجوب انه رأى بالعراق بعد ما يزيد قليلا عن مائة سنة من موت الحلاج طائفة تسمى نفسها الحلاجية . وهذا او قريب منه ما يحدثنا به ابو العلاء المعرى في « الغفران » من أن هناك قوما فى بغداد ينتظرون خروج الحلاج . ويقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون عودته . وقد مات المعرى بعد صلب الحلاج بمائة واربعين عاما .

فيما لاشك فيه اذن أن الحلاج كان مشغولا بقضايا مجتمعه .

وقد رجحت أن الدولة لم تقف ضده هـذه الوقفة الا عقابا على هذا الفكر الاجتماعى .

اما مسألة حنبليته . ووقوف الشيعة ضده . فتلك مشكلة. فرغم تأكيد ماسينيون فان دارسين آخرين مثل جولد تسيهر ودى بور وآدم ميتزلا يشيرون اليها . كما أن بعض المراجع العربية القديمـة تغفلها . بل ان بعضـها يشـير الى شيعته مثل قـول الاصطخرى نقلا عن ابن حوقل ان الحلاج كان في أول أمره داعيا من دعـاة الفاطميين . وقول ابن النديم فى الفهرست انه كان فى اول أمره يدعو الى الرضا من آل محمد .

هى مسـألة مختلف فيها اذن . ولذا اسقطتها من تقديرى .

وقد اخـذت من التاريخ شخصـيات معظم مسرحيتى ، فالشبلى من كبار الصوفية وكان صديقا للحلاج . وله شـهادة فى المحكمة . وقد استجوب الحلاج وهو على صليب الموت بهـذه الآية القرآنية « او لم ننهك عن العالمين » . وكان ابراهيم بن فاتك مريده وخادمه وهو الذي روى لنا بعض فصـول كتاب « أخبـار الحلاج » أما القاضيان أبو بكر الحمادى وابن سريج فأولهما من قضـاة المـالكية المعروفين بتقربهم من الخلفاء والأمراء وثانيهما الفقيه الشافعي العظيم .

وقد اعدت صياغة احداث التاريخ . وبخاصة وقد اقترنت تلك الفترة بالغموض الشديد . فاقتصرت على المحاكمـة الأخيرة وقد كان راى ابن سريج فى كراهيته محاكمة الانسان فى تفاصـيل عقيدته مع الم الأراء التى وردت فى المحاكمة الأولى . فدفعت به الى المحاكمة الثانية . ورغم انه ـ على رواية انفرد بها ماسينيون ـ لم يكن أحد قضاتها .

كما أنى أيقنت منذ القراءة الأولى للمـادة المروية عن الحلاج أن كثيرا من أخبار شطحاته ومعجزاته مبالغ فيها . خاصـة وقد أصبح بعد موته وليا وقديسا ومهديا منتظرا عند بعض المسلمين . فكونت من الطواسين ومن شـعره مذهبا تصـوفيا ينسجم مع التصوف وأصول العقيدة المتحررة معا .

(ب) نشأ المسرح شعريا . وأغلب الظن انه سيعود كذلك . رغم غلبة الطابع الاجتماعى النثرى منذ أواخر القرن التاسع عشر. ولكن الايماضات الشعرية التى تتخلل المسرح النثرى الآن تؤذن بعودة الشعر الى المسرح . وليس الأسلوب النثرى المحكم ــ كما قال أحد النقاد ــ الا محـاولة الاقتراب من الشـعر فى تركيزه وموسيقاه .

وقد واجهتنى مشكلة الموسيقى . ولأهل الولع بالعروض أقول انى استعملت فى مسرحيتى هـذه اربعة ألوان من النفاعيل :

أولاها : تفعيلة الرجز « مستفعلن » بما يجوز أن يدخلها من التحويرات .

ثانيا : تفعيلة الوافر « مفاعلتن » وقـد كان العروضـيون الأقـدمون يجيزون فيها اسـكان الخـامس المتحرك . فتصـبح « مفاعلين » ولكنهم يستكرهون حذف السابع لتصبح « مفاعيل » وان كانوا لا يحرمونه . وقد وجدت اللغة المسرحية تحبه وترتاح اليه أحيانا . ولعل هـذا هو ما أريد أن ألفت له . وهو ان الكتابة للمسرح الشعرى سـتدخل على موسـيقى العروض نوعـا من الطواعيـة .

وثالثها : تفعيلة المتقارب « فعولن » .

ورابعها : تفعيلة المتدارك « فعلن » المحورة عن فاعلن . شاع استعمال هـذه التفعيلة فى شعرنا الحديث . وهى أقرب الى لهجة الحوار من الرجز . وفيها موسيقية راقصـة وخاصة اذا تكونت من متحرك فساكن فمتحرك فسـاكن . ولكنها ان حركت آخر حروفها أحيانا . وهـذا ما لم يجزه الأقدمون . أصبحت ذات ايقاع جـاد . وانكسرت الحركة الراقصة لتحل محلها تناوبات موسيقية متماوجة .

وتحريك الحرف الأخير بمارسه جميع من يكتبون الشعر الحديث رغم تحريم الأقدمين له .

وهذه هي المحاولة الأولى . ولاشـك أن المسرح الشـعرى سيطور عروضه .

ص.ع

رقم الإيداع ٧٤١٩/ ٩٦

الترقيم الدولى I.S B.N. 977- 01- 4859- 8

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

